سلطنة دارفور

بين الرغبة الاستقلالية والسياسة التوسعية في عهد محمد علي باشا والخديوي إسماعيل ١٢٣٥-١٢٩١هـ/ ١٨٢٠-١٨٧٤م

إعداد

د. خليفة بن عبد الرحمن المسعود

أستاذ التاريخ المشارك – جامعة القصيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مقدمة

احتل إقليم دارفور مركزاً مهماً في التكوين السياسي للسودان منذ القرن التاسع عشر باعتباره حلقة وصل بينها وبين الوحدات السياسية الغربية المجاورة، وباعتبار ثرواته الطبيعية حسب مقاييس تلك الحقبة، ولتلك الأسباب وغيرها فقد ظل الإقليم مطمعاً للقوى المهيمنة في مصر والسودان بدءً من محمد علي باشا ثم خلفائه من بعده وانتهاء بالمستعمر البريطاني الذي جند الإمكانات للسيطرة على دارفور.

وهذا البحث الذي يحمل عنوان: سلطنة دارفور بين الرغبة الاستقلالية والسياسة التوسعية في عهد محمد علي باشا والخديوي إسماعيل ١٢٣٥-١٢٩١هـ/١٨٢٠-١٨٧٤م يناقش تاريخياً ما تعرض له إقليم وسلطنة دارفور من تحديات للهيمنة على يد حكومة مصر العثمانية عبر محاولتين فشلت أولاهما في عهد محمد علي، ونجحت الثانية في عهد حفيده (الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا) في تحقيق ذلك الهدف، لكن الحكومة الخديوية لم تهنأ حقيقة بذلك الانجاز، إذ ظلت دارفور في غليان مستمر وانتفاضات متتالية؛ لتحقيق استقلالها مجدداً الأمر الذي أدى إلى استمرار الاضطرابات في الإقليم حتى دخوله في قبضة الاستعمار البريطاني.

وقد بدأ البحث بالحديث عن موقع إقليم دارفور ومزاياه الجغرافية، ثم نبذة عن تاريخه السياسي، وقيام السلطنة والمحاولات المصرية لإخضاعه في عهد محمد علي ثم عهد الخديوي إسماعيل، والدور الذي قام به الزبير رحمت في السيطرة على إقليم دارفور سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، مع بيان الوضع المترتب على سقوط الإقليم.

وقد أمكن الإفادة في هذا البحث من مجموعة وثائق دار الوثائق القومية في القاهرة، والتي قدمت تغطية مميزة لتحركات الجيش المصري، الذي استولى على دارفور، وما صاحب تلك الحقبة من أحداث، ومن أبرز المصادر التي استخدمت في البحث كتاب تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان للرحالة محمد بن عمر التونسي الذي زار دارفور في عهد السلطنة، والتقى بزعمائها، ثم كتب عن تلك الفترة، وكذلك كتاب تاريخ السودان القديم والحديث لنعوم شقير أحد موظفي الاستخبارات المرافقة للجيش الذي حقق السيطرة على دارفور بقيادة الزبير رحمت سنة ١٨٧٤م، بالإضافة إلى كتاب فتح دارفور لمؤلفه حسن قنديل وهو عسكري برتبة بكباشي، كان ضمن الجيش البريطاني المصري الذي استولى على دارفور سنة ١٩١٦م.

الموقع والتضاريس:

تقع دارفور في الجزء الغربي من السودان ، بين دائرتي عرض ١٠° و 16° شمالاً، وخطي طول ٢٢° و٢٧° غرباً، وتحدها من الشمال الغربي الجماهيرية الليبية، ومن الغرب تشاد، ومن الجنوب الغربي جمهورية إفريقيا الوسطى، ومن الجنوب فرع النيل الأبيض، وبحر الغزال، أما من الشرق فيحدها كثبان كردفان (١)، وبهذا الموقع كانت دارفور على اتصال تاريخي بممالك وقوى أحاطت بها من معظم جهاتها؛ مثل مملكة الزغاوة من الشمال، ومملكتي مقرة وعلوه المسيحيتين من الشرق، واللتين قامت على أنقاضهما مملكتي الكنوز والفونج الإسلاميتين في أواخر العصور الوسطى، ومن الغرب مملكة ودّاي، ومملكة الكانم، والبرنو، وممالك

(١) احمد عبدا لقادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور . ط١، الخرطوم: جامعة الخرطوم، ١٩٩٨م، ص٢١.

السودان الغربي مثل مالي، والتكرور، وغانة، ومن الجنوب بحر الغزال، وما وراءه من بلاد الكونغو، وأواسط أفريقيا(١)، ومن المرجح أن حدود دارفور قد ظلت متأثرة بطبيعة علاقتها السياسية والقبلية مع تلك البلدان.

كما أن هذا الموقع جعل من دارفور مركز ربط بين المناطق الغربية والوسطى من السودان، ومنحها التميز على طرق القوافل بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها الشرقي وبين شرق القارة وغربها، وقد ترتب على هذه الحقيقة الجغرافية الواضحة أن أصبحت دارفور عرضة للتأثيرات الثقافية والعرقية التي ميزتها، وطبعتها بطابع خاص، بعد أن أصبحت ميداناً لتعاقب الهجرات، والتقاء طرق القوافل التجارية، كما أن هذا الموقع دفع حكام دارفور إلى التوسع على حساب مناطق مجاورة مثل منطقة دارفرتيت وحوض بحر الغزال، وجانب من كردفان وجزء كبير من ودّاي(٢).

ولقد لعبت تضاريس المناطق الحدودية لدارفور دور واضح في تحصينها؛ حيث تنتهي حدودها الشمالية عند الصحراء الليبية عبر مساحات رملية وصحراوية شاسعة نادرة الماء والزرع تمثل حاجزاً مانعاً لأي هجمات عسكرية مباغتة يمكن أن تأتيها من تلك الجهة، كما أنها تعطي للمتحكم في دارفور إمكانية السيطرة على الواحات الواقعة إلى الشمال منها، أما المنطقة الشرقية للإقليم فهي عبارة عن سلسلة عريضة من التلال الرملية، التي تشكل حاجزاً بينها وبين كردفان، كما أن نهر النيل

(١) FO 141/426/9. رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى. القاهرة: دار الثقافة، د.ت.ن، ص ١٦-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨.

الأبيض- الذي ينبع من دارفور ويصب في بحر الغزال - قد شكل حاجزاً أمنياً آخر، أما الجهة الغربية لدارفور فهي منطقة مفتوحة خالية من أي موانع جغرافية، أما تضاريس دارفور الداخلية فمنحتها مزيداً من التحصين؛ فهي عبارة عن هضبة تكثر بها الجبال والتلال خصوصا في الشرق والشمال والغرب، وأرضها رملية كثيرة الأودية والأشجار، ولعل أبرز ظاهرة طبيعية فيها سلسلة جبال مرة، التي تمتد نحو مائة ميل من الشمال إلى الجنوب ونحو ستين ميلا من الشرق إلى الغرب، ويبلغ ارتفاع أعلى قممها نحو ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر، ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر، وهو جبل وافر الخصب كثير الينابيع غزير المطر، وبشكل عام فإن دارفور ذات بيئة جميلة، هوائها نقي، وجبالها مرتفعة، ومناخها هو مناخ البحر المتوسط، ومن أشهر قمم جبالها جبل طرة، الذي كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم إلى الفاشر(١)، وفيه مدفن السلاطين الخاص، وجامع كبير قديم(٢).

السكان:

دارفور إقليم شاسع المساحة يعج بجماعات عرقية متعارضة ومتقاطعة في مصالحها، فالقبائل الإفريقية في الشمال، والقبائل العربية في المناطق الجنوبية - وفيرة الأمطار - مع تداخلات فيما بينها(٣)، وتتألف التركيبة

(١) الفاشر عاصمة دارفور مدينة عالية الموقع شديدة التحصين، تتميز بالخضرة وجمال الطبيعة، وقد بلغت أوج قوتها في عصر السلطان علي ديناز. حسن قنديل: فتح دارفور سنة ١٩١٦م. ط١. الإسكندرية: مطبعة العدل، ١٣٥٦هـ. ص ص ٤٤-٤٦.

(٢) محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق خليل عساكر ومصطفى مسعد. القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٥م، ص ص١٤٤-١٥٠.- نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث. تحقيق إبراهيم أبو سليم. بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م، ص١٤٩ وما بعدها.

(٣) سيد فليفل " مشكلة دار فور بين التدخل الدولي والأزمة الداخلية". المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر. الموسم الثقافي ٢٠٠٧ م. الجماهيرية الليبية، ص٤.

السكانية في دارفور قبل نزوح العرب إليها من عناصر السود وشبه السود، وعناصر السود هي العناصر أو القبائل التي كانت تهاجر إلى الإقليم من السودان الجنوبي، وهي عناصر زنجية في الأساس، وكانت لها السيادة في عصر من العصور على ما يعرف الآن باسم دارفور، أما العناصر شبه السود فهي من أقدم السكان أصولا في البلاد، وقد أتت هذه العناصر إلى دارفور نتيجة هجرات عناصر مختلفة من الشمال والغرب والشرق، ولذلك فإن معظم سكان دارفور وكذلك معظم سكان ودّاي، وكانم، وُباجرمى، وبرتو من بلاد السودان الأوسط، وسكونو، ومالي من بلاد السودان الغربي وهم في الملامح والحضارة أقرب إلى العرب، وكانوا على الديانة الفتشية قبل هجرة العرب إليهم، ونشر الإسلام بينهم، كما أنهم ينقسمون إلى قبائل مختلفة، لكل منها ملك ولغة خاصة(١).

ومن أقدم القبائل التي سكنت إقليم دارفور شعب الداجو، ولعلهم أصحاب الإقليم الأقدمون، وكان مركزهم جبل داجو؛ الذي يقع إلى الغرب من داره، حيث تمكنوا من تكوين أول سلطة سياسية في إقليم دارفور خلال الفترة من القرن الثاني عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، ثم نشأت بجوارها سلطة التنجر، والتي استمرت حتى منتصف القرن الخامس عشر، غير أن هاتين السلطتين لم تتمكنا من البقاء الأمر الذي مهد لظهور قوة الفور، وبسط سيطرتها على كامل الإقليم(٢).

---

(١) نعوم شقير: المصدر السابق، ص١٥١، أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص٢٦.

(٢) محمد بن عمر التونسي: المصدر السابق، ص ص ١٤٠-١٤٩، ومن القبائل الأخرى التي استوطنت الإقليم و لم تتمكن من تكوين سلطة سياسية مثل الزغاوة، والبرتي، وميدوب في شمال دارفور، والمساليط، والقمر في الغرب، والفلاته، والبرقد، والفتيت، والبيقو في الجنوب.

وقبائل الفور هم أصحاب السيادة في جبال مرة وفي المرتفعات التي تقع غرب هذه الجبال، ومنهم اكتسب الإقليم تسميته التاريخية فصار يعرف باسم دار الفور أو دارفور ، نظراً لأهميتهم آنذاك خاصة بعد نجاحهم في تأسيس دولة كبيرة دامت أربعة قرون(١).

قيام سلطنة دارفور الإسلامية:

بعد أن تمكن المسلمون من فتح مصر اتجهت البعوث إلى الجنوب تأميناً للحدود، وطلباً للتوسع في النوبة، غير أن تلك البعوث لم تتمكن من اجتياز النوبة نظراً لصمود مقاتليها الأمر الذي دعا لتوقيع معاهدة بين عبد الله بن أبي السرح وعظيم النوبة في دنقلة عام ٣١ للهجرة، تم بموجبها دعم النوبة بالغذاء مقابل تقديم الدعم للجيوش الإسلامية، وعدم المساس بأحد من المسلمين(٢)، ولقد كانت تلك المعاهدة منطلقاً في انتشار الإسلام داخل السودان بشكل سلمي، وخلال القرون الثلاثة التالية من هذه المعاهدة تغلغل الإسلام رويداً رويداً إلى دارفور، وتظافرت عدة عوامل فتحت المجال لهجرة عدد من القبائل العربية إلى دارفور خاصة تلك التي كانت مستوطنة في مصر أو شمال أفريقيا بعد انتشار الإسلام في تلك المناطق فاستقر بنوجرار، والزيادية، والعطيفات، والعريقات، والمحاميد، والكروبات وغيرهم في شمال دارفور، فيما استقر الحبانية، والمسيرية، والرزيقات، وبنو هلبة، والتعايشة في الجنوب والجنوب الشرقي، أما في الغرب فقد استقر بنو حسين، وبنو خزام، وبنو مخزوم، والسلامات، واستقر في الوسط عرب البشير، والخوابير، وبنوفضل، وهوارة، وبنو

(١) رجب محمد عبد الحليم: المصدر السابق، ص٣٧.

(٢) شكري الفيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول. ط٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢م، ١٢٩-١٣٠.

هلال، وقد ترتب على تلك الهجرات وتمازج العناصر العربية مع أهل دارفور عدة نتائج أبرزها انتشار اللغة العربية في دارفور، وهو ما صاحبه انتشار للإسلام أيضاً خاصة بعد قيام سلطنة دارفور الإسلامية(١)، كما أصبح أكثر من ثلثي سكان الإقليم عناصر عربية أو مستعربة لغة وتقاليد(٢).

ومن المرجح أن سلطنة دارفور قد تأسست حوالي سنة ٨٤٨ هـ/١٤٤٥م على يد سليمان سولونج، والذي ولد من أب عربي وأم من أسرة كيرا، التي تنتسب إلى قبيلة الفور(٣)، وقد اتخذ سليمان من بلدة نامي الواقعة في إقليم طرة عاصمة لدولته، وتمكن عن طريق الاستعانة بالعناصر العربية من إخضاع الخارجين عليه من سلاطين وملوك الفور في جبال مرة والمناطق المحيطة بها، وإدخالهم الإسلام، كما أصبح مسئولاً عن تعيين الحكام على مناطقهم(٤)، وبذلك اصطبغت دارفور بصبغة عربية إسلامية، ونتج عن ذلك انفتاح الإقليم على العروبة والإسلام، وكانت لها مساهمات في نشر ورعاية الدين الإسلامي بما جاورها من مناطق عبر تنقلات قبائل دارفور العربية والمستعربة(٥).

وقد قسمت سلطنة دارفور إلى أربع ولايات رئيسة هي ديمنقا، وتكناوي، واومنقا ،ودالي، ولكل ولاية منها حاكم مسئول عن إدارتها، فيما ترتبط الولاية الخامسة وهي دار الغرب بالسلطان مباشرة، والسلطان هو السلطة

(١) المصدر نفسه، ص ص ١٢٣-١٩٠.

(٢) السيد فليفل: المصدر السابق، ص٥.

(٣) مصطفى مسعد: "سلطنة دارفور-تاريخها وبعض مظاهر حضارتها". مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد١١، ١٩٦٣م، ص٢٢٧-٢٢٨. أحمد عبدالقادر أرباب: المصدر السابق، ص٦٢.

(٤) محمد بن عمر التونسي: المصدر السابق، ص٦٤، ١٣٨. رجب محمد عبدالحليم: المصدر السابق، ص٢٥٢-٢٥٤.

(٥) رجب محمد عبد الحليم: المصدر السابق، ص٢٦٩-٢٧٠.

العليا في البلاد يساعده عدد من الوزراء والقضاة، ومجلس استشاري، ويتألف مجلس وزراء السلطان من اثني عشر وزيراً منهم أربعة وزراء أساسيين يلقبون بـ (أمناء)، ويرأس الوزراء كبير الأمناء، وهو بمثابة رئيس الوزراء، ويلقب بـ(أبي الشيخ)، ويتولى مجلس الأمناء اختيار السلطان الجديد بعد التنسيق مع مجلس الشورى (١).

وقد تعاقب على حكم سلطنة دارفور ستة وعشرون حاكماً، كان آخرهم السلطان إبراهيم قرض بن السلطان محمد حسين، والذي قتل على يد القوات المصرية بقيادة الزبير باشا حين تمكنت من السيطرة على دارفور، وإعلان سقوط السلطنة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٥م، على أن سلالة سلاطين دارفور ظلوا يقومون بين الفينة والأخرى بحركات استقلالية نجحت حيناً وأخفقت حيناً آخر حتى كانت نهاية تلك السلالة بمقتل السلطان علي دينار، وسقوط دارفور بيد البريطانيين سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (٢).

المحاولات الأولى للسيطرة على دارفور في عهد محمد علي:

ارتبطت دارفور مع مصر منذ عهد مبكر عبر طرق برية عدة، وتشير المصادر إلى أن الاتصالات التجارية بين الجانبين تعود إلى العصر الفرعوني، حيث قام القائد الفرعوني حركوف (الأسرة الفرعونية السادسة) بزيارات متعددة إلى السودان وصل خلالها إلى دارفور، كما

(١) أحمد عبدالقادر أرباب: المصدر السابق، ص ص٧٢ -٧٧.

(٢) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ١٥٣ وما بعدها.

سجل التاريخ رحلات تجارية مماثلة قام بها بعض التجار العرب قبل الإسلام إلى دارفور(١).

ومع انتشار الإسلام وتزايد الوجود العربي في مصر زادت الاتصالات غير المباشرة بين مصر ودارفور خاصة بعد ما لقيته بعض القبائل العربية المقيمة في مصر من تضييق الخليفة العباسي المعتصم ووالية في مصر نتيجة لسيطرة العنصر الفارسي في الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، الأمر الذي دفع بتلك القبائل للانتقال من مصر تجاه الجنوب والغرب، فاستقروا في شمال أفريقيا والسودان، واستمرت تلك الهجرات خلال العصور التالية خاصة إبان الظروف السيئة التي شهدها العالم الإسلامي في المشرق منذ سيطرة التتار وسقوط الدولة العباسية ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م وحتى نهاية دولة المماليك سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م(٢)، مما ترتب عليه زيادة ملحوظة في نسبة العرب في دارفور - بعد تأسيس سلطنة دارفور بسواعد عربية مسلمة - حيث تمتعوا مستوى جيد من العيش والأمن مقارنة ببلاد النوبة، التي كانوا يقيمون بها من قبل.

وعلى الرغم من تلك الهجرات إلا أن العلاقات المباشرة بين مصر ودارفور لم تظهر بصورة واضحة؛ بل ظلت دارفور لغزاً بالنسبة لحكام مصر، الذين بدأوا في التطلع للتوسع على حساب الأراضي السودانية منذ عهد محمد علي باشا، الذي حرص على ضم هذه السلطنة إلى الممتلكات المصرية في السودان، وظلت فكرة غزو دارفور وإخضاعها لسلطة

(١) رجب محمد عبد الحليم: المصدر السابق، ص٩٠-٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٤٩-٥٧.

الحكومة المصرية هدفاً وأملاً يراود كل من تولى حكم مصر، إلا أن الجهود التي كانت تبذل في هذا السبيل كانت تصطدم بسياسة الحذر التي اتبعها سلاطين دارفور تجاه إقامة أي نوع من العلاقات مع حكام مصر؛ خشية إتاحة الفرصة أمامهم للتدخل في الشئون الخاصة بالسلطنة(١).

ومن المرجح أن أول خبر يؤكد وجود الرغبة لدى محمد علي باشا للسيطرة على دارفور هو ما أورده الجبرتي في أحداث سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م حيث أشار إلى عودة محمد علي باشا بقواته من الصعيد بعد أن كان الناس قد أشاعوا "..عزمه على القضاء على المماليك في دنقلة والسيطرة على بلاد دارفور والنوبة والاستيلاء على كميات الذهب والفضة والرصاص والزمرد من هناك.."(٢).

وفي واقع الأمر فإن محمد علي باشا كان قد وضع ضمن أولوياته التوسعية بعد عودة قواته من شبه الجزيرة العربية، والقضاء على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م التوجه جنوباً والسيطرة على بلاد السودان، ومما دفعه لهذا التوجه عدة أسباب أبرزها الرغبة بتوسيع أملاكه جنوبي مصر، واكتشاف منابع النيل للسيطرة عليها؛ ضماناً لأمن مصر الاقتصادي في ظل خشيته من قيام القوى الأخرى مثل بريطانيا بتلك الخطوة، كما حرص على إيجاد روابط اقتصادية بين مصر والسودان في ظل ما كان يشاع عن وجود المعادن الثمينة في بلاد السودان كالذهب، والألماس، والنحاس(٣)، وما اشتهرت به دارفور من تجارة العاج، وريش

(١) عز الدين إسماعيل: الزبير باشا ودوره في السودان. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٨١.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار الجيل، د.ت.ن، ٣/٦٠٥.

(٣) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي. ط٥. القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٩هـ، ص ١٥٩،١٥٦.

النعام، والعسل، والأبنوس، والصمغ العربي، مما جعلها ذات ارتباط تجاري قديم مع ساحل أفريقيا الشرقي (١).

ومن منظور أمني رأى محمد علي في السيطرة على السودان فرصة للقضاء على بعض خصومه اللاجئين هناك خاصة في دنقلة؛ حيث ظلوا مصدر قلق له ولدولته منذ أن اتخذ قراره التاريخي بالقضاء على المماليك في مذبحة القلعة في الخامس من صفر ١٢٢٦هـ/١ مارس ١٨١١م، حيث ترتب على تلك الحادثة إبادة ما يقارب من ألف رجل من المماليك، لكن هاجس القضاء على بقاياهم ظل ماثلاً في سياسة محمد علي باشا المستقبلية عبر مطاردة الفارين منهم إلى دارفور(٢)، بجانب رغبته بالتخلص أيضاً من بعض العناصر السلبية في جيشه من فرق الأرناؤوط، وبقية الجند غير النظامية ممن ثبت عدم صلاحيتهم للعمل في قواته بعد حروبه في شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت ذاته رأى أن الفرصة مواتية أمامه لتكوين جيش جديد قوامه العناصر السودانية، التي تتميز بالصبر وقوة التحمل(٣).

أعطى محمد علي باشا أوامره لقواته بالتحرك إلى السودان عبر جيشين أحدهما بقيادة ابنه إسماعيل باشا والآخر بقيادة صهره محمد بك الدفتردار، حيث تمكنت تلك القوات من إخضاع رقعة كبيرة من الأراضي السودانية أواخر سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م في سنار وكردفان جنوباً، وعلى الرغم من وصول إبراهيم باشا بمدد عسكري دعماً لتلك القوات إلا

(١) احمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص٢٧.

(٢)حليل الرحمي: تاريخ الوزير محمد علي باشا. تحقيق دانيال كريسيليوس وآخرين. ط١. القاهرة: دار الآفاق، ١٤١٧هـ. ص١١٠-١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

أن الانجاز العسكري لها بات ضئيلاً خلال الفترة التالية، بل لقد حدثت انتكاسة مفاجئة لها اثر مرض إبراهيم باشا، وطلبه العودة إلى مصر، ثم مقتل أخيه إسماعيل حرقاً على يد أهالي شندي؛ مما أدى إلى توقف التوسع العسكري تماماً لقوات محمد علي باشا في السودان، وبقي محمد بك الدفتردار لإدارة الأمور هناك حتى تم تسليم الحكم للحكماريين الذين رابطوا بالقاهرة لما يزيد عن ستين عاماً، حيث تم فصل السودان عن مصر بعد وقوعهما تحت الاحتلال الانجليزي(١).

وعلى الرغم مما أكدته المصادر التاريخية(٢) من أن محمد بك الدفتردار – حين أرسل إلى السودان – قد كلّف بمهمة السيطرة على "..دارفور ببلاد السودان.." إلا أنه لم ينجح بتحقيق تلك المهمة، وإذا كان للظروف التي أحاطت بقوات محمد علي في السودان دور في ذلك، فإن ثمة سبب مهم آخر لفشل الدفتردار إلا وهو تماسك سلطنة دارفور بقيادة السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الملقب بقمر السلاطين، والذي مرت دارفور خلال عصره بفترة إزدهار وقوة مكنته من تصفية أبرز القوى المجاورة المعادية، بل أن السلطان محمد الفضل حاول مد يد العون عسكرياً لأهالي كردفان التابعة لدارفور ضد الدفتردار حين أرسل جيشاً بقيادة محمد أبي اللكيلك لتلك المهمة، وعلى الرغم من مقتل ذلك القائد، وعودة قواته إلى دارفور بعد سقوط كردفان بيد قوات محمد علي باشا (٣) إلا أن تلك

(١) وقد حكم السودان في عهد الحكمدارية كل من: (عثمان بك، محو بك، خورشيد باشا، احمد باشا أبو ودان، احمد باشا المنكلي، خالد باشا) المصدر السابق، ص ص ١٦٠-١٧٣. نعوم شقير: المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ٦٢٧/٣.

(٣) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ص ١٦٣-١٦٩. أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص١١١-١١٢.

الخطوة تؤكد القوة التي تمتعت بها دارفور خلال تلك الفترة؛ لدرجة أنها باتت ملجأ للفارين من بطش قوات محمد علي باشا في السودان(١).

وحين أدرك محمد علي باشا تلك الحقيقة سعى للتخلص من السلطان محمد الفضل، حيث استعان بأبي مدين الأخ المنافس للسلطان، والذي كان يقيم في القاهرة، ويزين السيطرة على دارفور في نفس محمد علي، الذي حاول الإفادة من معرفته بأحوال سلطنة أخيه، فأرسله للتنسيق مع المسئولين في السودان لمهاجمة دارفور؛ غير أن أبا مدين لم يتمكن من تحقيق شيء يذكر، فبقي في كردفان حتى وفاته (٢)، وحين فشلت تلك الخطوة حاول محمد علي اللجوء للحيلة سعياً لكسب موقف السلطان محمد الفضل، فاقترح على حاكم كردفان التوسط بينهما لعقد اتفاقية تجارية يتم بموجبها استخراج وتصدير النحاس من دارفور إلى مصر، والمساعدة في تجنيد الشباب للعمل في الجيش المصري، لكن السلطان محمد الفضل اشترط التزام محمد علي بتقديم المساعدات العسكرية لدارفور، وهو ما لم يوافق عليه والي مصر، مما دعا السلطان لاتخاذ قراره بإغلاق حدود بلاده الشرقية، ومنع دخول أي أجنبي إليها خشية من عيون محمد علي باشا وعملائه، كما قام بطرد المماليك من دارفور؛ كي لا يتيح ذريعة لمحمد علي لمهاجمتها، فنزح كثير منهم إلى مملكة وداي (٣).

(١) عبد الرحمن الرافعي: المصدر السابق، ١٧٤.

(٢) نعوم شقير: المصدر السابق، ص١٧٠.

(٣) أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص١١٢.

وحين لم يتمكن محمد علي من السيطرة على دارفور بالقوة والحيلة حاول ذلك سلماً، حيث أرسل في سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م خطاباً إلى السلطان محمد الفضل، يدعوه فيه إلى التسليم، فرد عليه السلطان بخطاب أوضح فيه احترامه وتقديره لمحمد علي، لكنه أكد أن دارفور بلد مسلم يطبق أركان الإسلام وتعاليمه، وليس بلد كفر يجب أن يدفع الجزية لمحمد علي أو غيره، كما أكد على القوة التي يتمتع بها سلطنة دارفور الإسلامية تحت سلطته، مؤكداً أنها محروسة من الله، ثم من أهلها الشجعان، ناصحاً محمد علي بألاّ تطغيه انتصاراته في سنار فتجعله يعتقد سهولة السيطرة على دارفور، وقد جاء في تلك الرسالة البليغة: "..إلى حضرة الكوكب العالي، والنير المتلالي، بهجة الأنام، وقدوة الليالي، صاحب العز والافتخار أخينا العزيز محمد علي باشا ...إنكم طالبون دولتنا وطاعتنا وانقيادنا لكم، هل بلغكم أننا كفار وجب لكم قتالنا، وأبيح ضرب الجزية علينا؟ أو غركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية؟ فنحن السلاطين وهم الرعية!. أوَرَدَ لك دليل من الله تجد فيه ملكك؟ أم ورد لك حديث من رسول الله تجد فيه تمليكك؟ أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك رباً قوياً ولنا رباً ضعيفاً؟. الحمد لله نحن مسلمون، وما نحن كافرون ولا مبتدعون، ندين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونؤدي الفرائض، ونترك المحرمات، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، والذي لم يصل نأمره بالصلاة، والذي لم يزكي نأخذ منه الزكاة، ونضعها في بيت المال، ولا ندّخرها، ونرد الأمانات إلى أهلها، ونعطي كل ذي حق حقه، حتى دانت لنا القبائل العظام، ومن أتى دولتنا يرجع مكرماً بإذن الله تعالى... ألم تر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "لو بغى جبل على جبل

لدك بالباغي"؟. أما علمت أن دارفور محروسة محمية بسيوف قطع هندية، وخيول جرد أدهمية، وعليها كهولة وشبان يسرعون إلى الهيجاء بكرة وعشية !؟. أما علمت أن عندنا العباد والزهاد والأقطاب والأولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا، وهم بيننا يدفعون شر ناركم فتصير رماداً، ويرجعوا الملك إلى أهله؟ ويكفي من بعد ذلك والله يكفي شرَ الظالمين.." (١).

ومما لاشك فيه أن هذه الرسالة قد بيّنت النهج الإسلامي الحق لسلطنة دارفور، وبيّنت وعي سلاطينها بأحكام الإسلام ونظمه في الحكم، كما أن ما حوته من رد كان كافياً لإحجام محمد علي باشا عن محاولاته للسيطرة على دارفور، إذ توقفت جهوده تماماً في هذا الشأن؛ خاصة أن ظروفه في تلك الفترة لم تمكنه من شن هجوم عسكري عليها في ظل انشغاله بصراع مسلح ضد السلطات العثمانية في الشام فيما عرف بحرب الشام الأولى، التي نشبت بين الجانبين سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، واستمرت قرابة سنتين(٢)، فرأى محمد علي باشا أنه ليس من حسن التدبير فتح جبهات عدة للحرب، فأوقف نشاطه العسكري خارج الشام، ونتيجة لذلك ظلت دارفور مستقلة تحت زعامة السلطان محمد الفضل ثم ابنه محمد حسين من بعده(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧١-١٧٢.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧-١٢٥٥/١٨٣١-١٨٣٩م. ط١. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ، ص٢١٨،٤٤.

(٣) نعوم شقير: المصدر السابق، ص١٧٢.

وعلى الرغم من صدور فرمان عثماني بتاريخ ٢١ ذي الحجة ١٢٥٦هـ/ ٣ فبراير ١٨٤٠م تضمن إلحاق دارفور بأملاك محمد علي بجانب النوبة، وكردفان، وسنار، وجميع توابعها (١)؛ غير أن واقع الحال أكد استقلال دارفور خلال تلك الفترة، واتضح أن ذلك القرار لم يكن سوى ترضية شكلية لمحمد علي باشا نتيجة الظروف الدولية، التي ترتبت على حرب الشام الثانية بين محمد علي والسلطان العثماني محمد الثاني، حيث تدخلت القوى الكبرى بزعامة بريطانيا وفرنسا، وعقد مؤتمر لندن ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، فكان من أبرز نتائجه طرد محمد علي من جميع الأراضي التي استولى عليها في الشام والجزيرة العربية وغيرها؛ لينحصر نفوذه في مصر (٢)، مما سبب له مشاكل سياسية وصحية أدت إلى انتهاء سطوته؛ بل ونهاية حياته؛ دون ممارسة سلطة من أي نوع في دارفور، واستقر خط الحدود الجنوبية لمصر مع السودان دون أن تدخل دارفور فعلياً ضمن هذا الخط(٣)، ومن المؤكد أن ذلك الوضع كان سبباً رئيساً في توسع سلطنة دارفور وسيطرتها على المناطق المجاورة مثل كردفان، وواداي، والجزء الشمالي من بحر الغزال، حيث قاربت مساحتها - مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي - ثلاثمائة وخمسين ألف ميل مربع (٤)، أما حلمه بالسيطرة على دارفور فقد تركه محمد علي رهناً لمقدرة خلفائه في عرش مصر.

---

(١) عبد الرحمن الرافعي: المصدر السابق، ص١٨٧.

(٢) عايض الروقي: المصدر السابق، ص ص٤٢٦-٤٣٧.

(٣) محمد بركات: مشكلات الحدود العربية. ط١. القاهرة: مطابع العبور، ٢٠٠٥م، ص١٥١-١٥٢.

(٤) آرثر روبنسون: "السلالة العربية الحاكمة في دارفور٨٥٢-١٢٠١هـ/١٤٤٨-١٨٧٤". مجلة الفسطاط. نوفمبر ٢٠٠٦م،ص١.

الخديوي إسماعيل والسيطرة المصرية على دارفور :

لم تكن ثمة محاولات لخلفاء محمد علي من أجل السيطرة على دارفور بدءاً من عباس باشا (١٨٤٨-١٨٥٤م)، ثم سعيد باشا (١٨٥٤-١٨٦٣م)، وحتى الفترة الأولى من حكم الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٦٩م)(١)؛ بل إن المصادر التاريخية تؤكد حسن العلاقات بين السلطان محمد حسين وكل من سعيد باشا وإسماعيل باشا، حيث كان يهديهما العبيد والتحف، وقد بادله سعيد باشا الهدايا، فأرسل إليه مركبة برأسين من الجياد، وخياماً وتحفاً، وبعض المدافع، كما أهداه الخديوي إسماعيل شالات كشميرية، وسروجاً ذهبية، وسبح كهرمان، وخرز سوميت وغيرها من النفائس، وقد أدى ذلك الهدوء في علاقات الجانبين وتوقف المحاولات المصرية للاستيلاء على دارفور إلى انصراف السلطان محمد حسين لتطوير قواته العسكرية؛ إذ كان أول من استخدم الأسلحة النارية في الجيش؛ بعد أن كانت الأسلحة هي السيوف والحراب والسكاكين، كما ضاعف العنصر البشري في جيشه، فجاوز عددهم عشرة آلاف مقاتل(٢)، وكانت تلك الخطوة نتيجة توقعه بتعرض بلاده لهجوم خارجي، وبناء على رأي مستشاريه(٣).

ولم يغبَ عن ذهن السلطان الخطر المتوقع بين فترة وأخرى من قبل السلطات المصرية؛ لذا فقد عمد إلى التحالف مع مملكة ودّاي المجاورة،

---

(١) ولد الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي سنة ١٨٣٠م، وتولى خلال عهد عمه سعيد مهمة تثبيت الوضع في السودان، وقد تولى حكم مصر سنة ١٨٦٣م، واستمر حتى عزله السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٩م، وكان من أبرز أحداث عصره فتح قناة السويس، وما تلاها من وقوع البلاد تحت وطأة الديون الخارجية، وكانت وفاته سنة ١٨٨٥م. عبد الوهاب الكيالي وآخرون : موسوعة السياسة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. د.ت، ١/١٩٠-١٩١.

(٢) نعوم شقير: المصدر السابق، ص١٧٢-١٧٣، ٢٧٦.

(٣) أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص١١٨.

فأرسل إلى حاكمها موضحاً الخطر الذي يمثله وجود أحد القادة التابعين للحكومة المصرية، وهو القائد محمد البلالي في كردفان المجاورة، ووجه الدعوة لعقد تحالف عسكري ضد أية مطامع استعمارية قد ينفذها البلالي لصالح الحكومة المصرية في دارفور أو ودّاي، فوافق سلطان ودّاي، وتم توقيع تلك الاتفاقية، التي صعّبت من مهمة البلالي وغيره في اختراق التحالف؛ ومما زاد من شكوك السلطان حسين تجاه الحكومة المصرية إرسالها القائمقام محمد ندى بيك إلى الفاشر عاصمة دارفور في مهمة سياسية مريبة سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، وقد قررت سلطات دارفور وضع محمد ندى بيك تحت الرقابة المشددة، وحددت إقامته داخل الفاشر، وسرعان ما تأكدت شكوك السلطان في مهمة محمد نادى باشا(١)؛ إذ كانت مهمته تتمثل في اكتشاف دارفور ومسالكها وأوضاعها؛ تمهيداً للسيطرة عليها، ولم يكن لدى الحكومة المصرية معلومات حديثة ووافية عن دارفور، وما كان لديها لا يعدو معلومات غامضة مستقاة من أصحاب القوافل التجارية؛ لذا فقد أدركت الحكومة المصرية أنه لابد من العمل على استكشاف أحوال دارفور الداخلية تمهيداً لغزوها، فقررت إرسال بعثة استكشافية برئاسة القائمقام محمد نادي باشا إلى هناك، حيث انطلق في رحلة امتدت من أبو حراز حتى الفاشر مركز حكومة دارفور، ورغم محاولة سلطنة دارفور تضييق الخناق على تحركاته إلا أنه قدم بعد عودته تقريراً شاملاً لحكومة السودان عن المنطقة، وما سمعه من الأخبار والروايات خلال رحلته، وتضمن التقرير أيضاً وصفاً للطرق والدروب وحالتها، والبلدان التي مر بها، والمسافات التي قطعها بساعات

(١) المصدر نفسه، ص١٢٠-١٢١.

السير، كما أشار إلى لقائه بالسلطان حسين حاكم دارفور، الذي استفسر من محمد نادي باشا عن نوايا حكومة مصر تجاه دارفور، فأجابه بأنها طيبة، على أن أبرز ما تضمنه التقرير تلك المعلومات السياسية والعسكرية، التي تؤكد إمكانية السيطرة على دارفور بسهولة؛ نظراً لبدائية جيشها وأسلحته، التي لا تخرج عن مجرد سيوف ورماح وجانب ضئيل من الأسلحة النارية، الأمر الذي لم يمكن السلطان من فرض سلطته على جميع مناطق دارفور، لذا فان نادي باشا رأى أن حملة من ألفي رجل يمكنها السيطرة على دارفور(١)، لكن الخديوي إسماعيل فضل التريث بعض الوقت في مهاجمة دارفور(٢)، وعلى الرغم من تعارض بعض معلومات نادي باشا مع ما تذكره مصادر معاصرة عن قوة دارفور وتطور أسلحتها، إلا أن مهمته كانت مفتاحاً مهماً للسيطرة على دارفور، وذلك بما قدمه من معلومات مغرية للسيطرة على الإقليم، ساعد على ذلك عزم حكومة الخديوي إسماعيل على ضم دارفور، مما جعلها تعتمد معلومات نادي باشا مصدراً أساسيا لتحركها العسكري هناك .

شهدت الفترة الثانية من حكم الخديوي إسماعيل (١٢٨٦-١٢٩٦هـ/١٨٦٩-١٨٧٩م) تبدلاً تاماً في مسار العلاقات بين دارفور وحكومة الخديوي خاصة بعد وفاة السلطان محمد حسين، وتولي ابنه إبراهيم. الأمر الذي قاد إلى سقوط دارفور بيد الخديوي إسماعيل، الذي بدأ محاولاته التوسعية في أعالي النيل، وحدود دارفور منذ سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م(٣).

---

(١) عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١١٧.
(٢) أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١.
(٣) محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ، ص١٣٥.

ففي أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي اتخذ الخديوي إسماعيل من انتقادات الدول الأوربية لتجارة الرقيق في جنوب وغرب السودان ذريعة للسيطرة على تلك المناطق؛ فأرسل الحكمدار جعفر مظهر إلى إقليم بحر الغزال، وأخضعه بالقوة للحكومة الخديوية، وعين محمد البلالي حاكماً للإقليم، ثم تحرك الحكمدار جعفر للاستيلاء على منطقة النحاس التابعة لدارفور، لكن السلطان إبراهيم أرسل احتجاجاً إلى الخديوي، وأخطره بأن منطقة النحاس تتبع مملكة دارفور منذ قرون مضت، فصدرت توجيهات الخديوي للحكمدار جعفر بالتوقف عن محاولته تلك؛ مما نتج عنه هدوء الأزمة الدبلوماسية بين حكومة دارفور وحكومة القاهرة بعضاً من الوقت (١).

لم يدم ذلك الهدوء طويلاً حيث ترسخت لدى الخديوي إسماعيل فكرة ومبررات جده محمد علي باشا للسيطرة على دارفور، فقرر إخراجها إلى مجال التنفيذ الفعلي، وتحت ذريعة القضاء على تجارة الرقيق في السودان الغربي، ومحاولة منع تكوين مركز لتجمع تجار الرقيق في دارفور عملت الحكومة المصرية للسيطرة على الإقليم؛ لئلا يصبح مرتعاً لتجار الرقيق، فيقوموا بالتعاون مع سلطان دارفور وأنصاره للثورة ضد الحكومة، ومما زاد من قلق الحكومة المصرية تجاه الوضع في دارفور وجود قوة عسكرية تحت قيادة واحد من أبرز تجار الرقيق وأحد الشخصيات العسكرية المهمة وهو الزبير رحمت، والذي رأت الحكومة في قوته خطراً كامناً يهدد مصالحها بعد فشلها في القضاء عليه سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م عبر حملة القائد بلال بك، الذي لقي مصرعه؛ مما جعل الزبير

(١) أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص١١٦.

يحظي نتيجة لذلك بمكانة وسلطة واسعة في بحر الغزال، لذا فقد سعت لتطويع قوة الزبير لصالحها، وذلك بتكليفه بمهاجمة دارفور مما يتيح لها السيطرة على الإقليم دون عناء، وفي الوقت نفسه إنهاك قوة الزبير، وتقليص خطره(١)، زاد من ذلك الرغبة في وقف نشاط الرعاة الهاربين إلى دارفور عند مطالبتهم بدفع الضرائب، أو عند اقترافهم أعمالاً تستحق العقاب(٢).

ومن المؤكد أن سياسة حكومة الخديوي في القضاء على تجارة الرقيق قد شكّلت ضربة اقتصادية لسلطان دارفور حسين بن الفضل والتحالف القائم بينه وبين تجار الرقيق، وإذا كانت الحكومة المصرية خططت للسيطرة على دارفور تحت ذريعة القضاء على تجارة الرقيق، فإن من المتناقضات أن تتم هذه السيطرة على يد أحد أكبر تجار الرقيق لا في السودان فحسب بل في إفريقيا(٣)، غير أن الرغبة بالإطاحة بقوته كانت مسوغاً لتلك الخطوة.

في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م عين إسماعيل باشا أيوب حاكماً عاماً للسودان، فبدأ العمل لتجنيد الزبير عن طريق ممارسة الضغوط النفسية

---

(١) الزبير بن رحمت بن منصور بن علي بن محمد العباسي ينتسب لأسرة عباسية، استقرت في مصر بعد سقوط بغداد بيد التتار، وقد انتقلت الأسرة إلى السودان، حيث ولد الزبير سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م في الخرطوم، وكان والده قد دان بالولاء لإسماعيل باشا حين قدم إلى السودان غازياً، وقد تنقل الزبير في مناطق مختلفة عبر رحلات تجارية، وقد تمكن من مصاهرة ملك النمانم تكة، و لم يلبث أن تمكن من السيطرة على بلاد قولوا، وأسس ما عرف بدم الزبير؛ ليكون عاصمة له سنة ١٢٩٢هـ/١٨٦٥م، كما وقع معاهدة مع عرب الرزيقات بين دارفور وكردفان، يتم بموجبها فتح طرق التجارة مقابل عوائد مالية، و لم يلبث أن أصبح قائداً قوياً؛ مما دعا إسماعيل باشا أيوب حكمدار السودان إلى تعيينه حاكماً على شكا وبحر الغزال، ثم كلفه بالسيطرة على دارفور، وقد انتهى الأمر به إلى الاستقرار في حلوان بمصر، وكانت وفاته في السودان سنة ١٩١٣م. نعوم شقير: المصدر السابق، ص٢٥٨ ص-٢٠٧. عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص٢٩٦.ونستون تشرشل: تاريخ الثورة المهدية. ترجمة: عز الدين محمود. ط١. جدة: دار الشروق، ١٤٢٧هـ، ص٣٤.

(٢) عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص ١١٤-١١٦.

(٣) ونستون تشرشل: المصدر السابق، ص٣٤.

عليه بإشعاره أن هناك استعدادات تتخذ لإرسال حملة للقضاء عليه؛ نتيجة قتله لبلال بك، وسرعان ما استجاب الزبير لتلك الضغوط، فعمل على تهدئة سلطات الخرطوم بكل وسيلة، واعتذر عن أعماله التوسعية السابقة، وتوسل طالباً العفو، ووعد في مقابل ذلك بمهاجمة حدود دارفور، ولما رأى إسماعيل باشا أيوب أن مخططه قد نجح في تطويع الزبير تخلى عن استعداداته العسكرية، وكتب إلى القاهرة مقترحاً حضور الزبير إليها للتفاهم حول إخضاع دارفور(١)، وقد استشعرت حكومة الخديوي وجود النزعة التوسعية لديه، والرغبة بمهاجمة دارفور لحسابه إن فشلت محاولة التفاهم معه، فسعت لاحتواء نشاطه، وتطويع تحركاته لصالحها، والمشاركة في قطف ثمار جهوده للتوسع في تلك الجهات، فوافقت على مقترحات إسماعيل أيوب باشا، وبدأت العمل لتكليف الزبير بمهاجمة دارفور(٢).

بدأت تحركات الزبير للسيطرة على دارفور سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م تحت ذريعة نقض عرب الرزيقات - حلفاء حكام دارفور- اتفاقاً عقده معهم قبل ثلاث عشرة سنة، تعهدوا بموجبه بفتح أراضيهم لمرور قوافله التجارية بما فيها قوافل تجارة الرقيق، وقد حاول الزبير إحراج السلطان إبراهيم قرض حليف الرزيقات، فطلب منه التدخل لإقناعهم بتنفيذ الاتفاق (٣)، وحين لم يجد منه استجابة أعلن حرباً غير

(١) عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١١٦.

(٢) ونستون تشرشل: المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) السلطان إبراهيم: مدة حكمه سنة وسبعة شهور وأربعة عشر يوماً، اشتهر السلطان إبراهيم بالكرم والشجاعة كأبيه، وبقي نافذ الكلمة في دارفور إلى أن قتل في بلدة منواشي في ١٤ رمضان ١٢٩١هـ / ٢ أكتوبر ١٨٧٥م في واقعة دموية شديدة بينه وبين الزبير. وكان في مقتله زوال لسلطنة دارفور، ودخولها في حوزة الحكومة. عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١٨٢.

متكافئة ضد الرزيقات، واستولى على عاصمتهم شكا، ثم أرسل للسلطان إبراهيم يبلغه بأنه قد جاء بأوامر الحكومة الخديوية للسيطرة على منطقة كردفان، وشكا، وبحر الغزال، وأن عرب الرزيقات قد نقضوا اتفاقاً ابرم معهم، وقد خير الزبير السلطان بين تقديم سرية عسكرية تساعده في إخضاعهم أو ترك الأمر للزبير لتصفية حسابه معهم، لكن السلطان لم يثق بشيء مما قاله الزبير، وأدرك أن الهدف هو السيطرة على دارفور تحقيقاً لحلم محمد علي باشا، الذي لم يتحقق، لذا فقد بدأ السلطان إبراهيم قرض في التخطيط للتعاون مع عرب الرزيقات، وطلب منهم الوقوف معه ضد الزبير، واحتجاجاً على سلب مدينة شكا من سلطته باعتبارها أهم مركز تجاري فقد طلب من الزبير مغادرة كامل إقليم الرزيقات باعتباره جزء من أراضيه، كما رفض تسليم خصومه الذين فرّوا إلى دارفور(١).

ومن الواضح أن السلطان بتلك الخطوات قد سار في طريق الحرب مع الزبير، فعمل جاهداً لتجهيز ما يكفي من السلاح والمؤن، وحين أدرك الزبير ذلك سعى لكسب حكومة الخديوي لجانبه، وضمان تدخل حكومة السودان في حالة ما إذا نشبت الحرب بينه وبين السلطان، لذا فقد أرسل خطاباً إلى إسماعيل باشا أيوب في رمضان ١٢٩٠هـ /نوفمبر ١٨٧٣م، يحمل أخبار انتصاره على عرب الرزيقات، واحتلاله لمدينة شكا، وأرفق بالرسالة هدية للحكومة الخديوية، كما طلب إرسال من يتولى بالنيابة عن الحكومة المصرية حكم هذه الأجزاء ليتوجه هو لتجارته، وفي الوقت ذاته كتب الزبير للسلطان إبراهيم موبخاً ومحملاً إياه

(١) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ٢٧٤-٢٧٥. أحمد عبدالقادر أرباب: المصدر السابق، ص١٢٥-١٢٦.

أسباب تلك الحرب(١) مؤكداً بأن قواته لن تخلي مدينة شكا حتى يعلن خضوعه لحكومة الخديوي في القاهرة، وقد حاول السلطان إبراهيم إضعاف تحالف الزبير وحكومة القاهرة، فأرسل الكثير من الهدايا النفيسة إلى الخديوي طالباً وقف هجمات الزبير، لكن هذه التوسلات ذهبت سدى؛ إذ أن حكومة القاهرة رأت في تحركات الزبير فرصة سانحة لتحقيق مخطط مهم في إستراتيجيتها السياسية في السودان، وهو السيطرة على دارفور؛ لذا فقد صدرت الأوامر بترقية الزبير إلى رتبة البيك، وأسند إليه حكم إقليم شكا وبحر الغزال، كما حصل على التأييد المعنوي والمادي من الحكومة لتحقيق ذلك الهدف (٢).

ومن الواضح أن السلطان إبراهيم قد أحس بالخطر فحاول الأخذ بزمام المبادرة، وتوجيه ضربة استباقية بمهاجمة الأراضي الواقعة تحت سيطرة الزبير؛ ففي أواخر سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م تصدت القوات المصرية في السودان لقافلة من الرقيق كانت قادمة من دارفور، فغضب السلطان إبراهيم لذلك، وقام بمهاجمة أطراف البلاد الواقعة تحت حكم الزبير، وتدمير مخازن التجارة والغلال فيها، فأعطى بذلك العمل ذريعة للزبير لمهاجمة سلطنة دارفور بعد أن أخذ موافقة إسماعيل باشا أيوب على ذلك، ونظراً لرغبة إسماعيل باشا أيوب بعدم ترك فخر الاستيلاء على دارفور للزبير وحده فقد وجه حملة أخرى بقيادة الحكمدار النور بيك عنقرة - بلغ قوامها ألفين ومائتي مقاتل - وكلفها بالزحف إلى دارفور

(١) نعوم شقير: المصدر نفسه ، ص٢٧٥.
(٢) عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١٢٠.أحمد عبدالقادر أرباب: المصدر السابق، ص١٢٧.

من الشرق، بينما وُكِّل للزبير مهمة الزحف على دارفور من الجنوب على أن تلتقي الحملتان في الفاشر عاصمة الإقليم(١).

ولقد حاول السلطان إبراهيم التصدي مبكراً لتلك القوات، فكلّف وزيريه أحمد شطه وسعد النور ومعهما جملة من أمرائه على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف رجل لمحاربة الزبير، واستعادة شكا، وبقية بلاد الرزيقات، فحدث أول اشتباك مسلح بين الجانبين عبر معركة دامت ساعة ونصف، قتل فيها أحمد شطه وعدد كبير من أتباعه، وفر الباقون، فيما قتل من جيش الزبير قرابة مائتي رجل، وتمكن الزبير من تحقيق النصر، والاستيلاء على أسلحة شطة، وقام بإرسال البيرق، والدرع، والخوذة، والسيف الخاصة بالوزير المقتول مع إفادة بتفاصيل ما حدث إلى الحكمدار طالباً إرسال مزيد من الإمدادات، ولم تتوقف الحرب بمقتل شطة، حيث دار قتال عنيف بين الطرفين في معركتين متواليتين كان النصر في الثانية من نصيب الزبير، وكان مصير جيش دارفور الهزيمة الكاملة بعد أن سقط قائدا الجيش في هذه المعركة(٢)، ونتيجة لذلك صدرت إرادة سنية إلى حكمدار السودان بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٢٩٠هـ / ١٥ فبراير ١٨٧٤م تشير إلى أنه نتيجة الاعتداء الذي قام به الفوراويون فإن جهات دارفور وجميع ملحقاتها صارت تابعة للحكومة الخديوية، لذلك وجب اتخاذ الإجراءات اللازمة للاستيلاء عليها، وأعدت فرقتان لهذا الغرض لدخولها من جهتي كردفان وبحر الغزال، وتشكيل مديريات في الجهات

(١) المصدر نفسه، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٢٤) دفتر رقم (١٨٧٥) وارد مكاتبات معية سنية ص (٧١) مكاتبة رقم (١٠)

التي يتم الاستيلاء عليها أولاً بأول، وتعيين حكام لها، مع تبليغ شكر الجناب العالي للزبير، والإنعام عليه بالرتبة الثانية(١).

وفي ٢٦ ذي الحجة ١٢٩٠هـ / ١٧ فبراير ١٨٧٤م بعث الحكمدار بتلغرافين للقاهرة يطلب فيهما الإمدادات اللازمة لنجدة الزبير، ولإعداد الحملة المزمع إرسالها للسيطرة على دارفور، شارحاً صعوبة طرقها وقلة مياهها(٢)، وفي تلغراف يحمل التاريخ نفسه طلب الحكمدار من القاهرة الموافقة على ذهابه شخصياً إلى كردفان؛ للإشراف على إعداد الحملة المزمع إرسالها لغزو دارفور من جهة الشرق، وتعيين محمد سعيد وكيلاً عنه بالحكمدارية أثناء غيابه(٣)، وقد جاء الرد على تلك المقترحات في السادس من محرم ١٢٩١هـ / ٢٣ فبراير ١٨٧٤م متضمناً الموافقة على دعم حملة دارفور على أن يكتفي حالياً بالهجوم عليها من جهة بحر الغزال رُيثما تتهيأ الظروف؛ لتطبيق الخطة الأصلية بشن الهجوم عليها من جهتي كردفان وبحر الغزال في آن واحد (٤)، ولتعزيز موقف الزبير ودعمه معنوياً أرسلت في الحادي عشر من محرم ١٢٩١هـ / ٢٨ فبراير ١٨٧٤م إرادة سنية بترقيته إلى الرتبة التالية نظراً لما أبداه من همة كبيرة في هزيمة جيش دارفور، ومقتل وزيرها، وجهوده أيضاً ".. في منع تجارة الرقيق، وضبط الأحوال بمديرية بحر الغزال.."(٥).

---

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٢٥) دفتر رقم (١٧) تلغرافات شفرة تركي ص ص (١٢/٢٣، ٢٤ / ١٢، ٢٥/ ١٣) تلغراف رقم (١٣٨).

(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٣١) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٦/١١، ٦/١٢) تلغراف رقم (٦٥) وكذلك وثيقة رقم (٣٢) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٦/١٢، ٦/١٢) تلغراف رقم (٦٦).

(٣) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٣٣) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (١٣ / ٧ ، ١٤ / ٨) تلغراف رقم ٦٧.

(٤) وثيقة رقم (٣٨) دفتر (١٧) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص ص (١٩/٣٧، ١٩/٣٨، ٢٠/٣٩، ٢٠/٤٠، ٢١/٤١)) تلغراف رقم ٢٠١.

(٥) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٤١) دفتر رقم (١٩٤٨) أوامر عربي ص (٥٥/٥٣) أمر رقم (٩٧).

ولقد تطلبت مهمة السيطرة على دارفور الكثير من النفقات والمصاريف، التي شكلت عبئاً على حكومة القاهرة، فيما لم يجد الزبير قدراً كافياً من الأموال للصرف على جيشه الخاص، ودفع مرتبات العساكر والضباط المرسلين إليه في صورة نجدات من الحكمدارية، لذلك فقد أرسل إلى الحكمدار طالباً دعمه بمبلغ ثلاثة آلاف كيس من المال، فكتب الحكمدار إلى القاهرة بتفاصيل هذا الموضوع في الرابع من ربيع الثاني ١٢٩١هـ / ٢١ يونيه ١٨٧٤م(١)، فصدرت الموافقة على صرف المبلغ المذكور للزبير في الثامن والعشرين من جمادى الأولى ١٢٩١هـ / ٢٤ يوليو ١٨٧٤م(٢)، ومن المرجح أن السبب الذي اضطر الحكومة الخديوية للموافقة على طلب الزبير هو خوفها من توقف مهمته في السيطرة على دارفور، مما يلقي ذلك العبء على الحكومة وحدها، بجانب رغبتها في أشغال الزبير، واستنفاد طاقته في تلك المهمة، وحين تمت الموافقة واصل الزبير استعداده لمهاجمة دارفور، فقام بتشكيل ثلاثة فرق عسكرية بقيادة كل من: طه أغا محمد الملك الشايقي، ومللى محمد أغا قولنق أغاسي، ويوسف أغا أرناؤط، وفي السابع عشر من ربيع الثاني صدر أمر إلى حكمدارية السودان بالموافقة على تلك التعيينات(٣).

ونظراً لكثرة طلبات الزبير المالية فقد كلّفه الحكمدار بتنظيم المديرية، وفرض الضرائب على الأهالي؛ لتقوية مركزه المالي، وتوفير موارد للصرف على قواته، والعمل للمحافظة على حدود مديريته بحر

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٤٤) دفتر رقم (١٨٧٥) قيد الإفادات الواردة إلى المعية من المديريات وللمحافظات ص (٩٠) إفادة رقم(٢٩).
(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٤٥) دفتر رقم (١٩٤٨) صادر المعية عربي ص (٧٣) مكاتبة رقم (٢٧).
(٣) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٤٦) دفتر رقم (١٩٤٨) أوامر عربي ص (٧٣) أمر رقم (٢٥).

الغزال، ريثما يتم إرسال العساكر والأسلحة اللازمة من الخرطوم تمهيداً لمهاجمة دارفور[١]، خاصة بعد تعليمات من القاهرة أكدت صعوبة إرسال العساكر والأسلحة على وجه السرعة؛ نظراً لبعد المسافة بين مصر والسودان، وأشارت على الحكمدار بأن يحاول نجدة الزبير بتدبير فرقة عسكرية من الخرطوم لحين إرسال بدل منها من مصر؛ حتى لا يتوقف سير العمل في تلك المهمة[٢].

وفي السادس من جمادى الأولى / ٢١ يونيه اقترح الحكمدار على الحكومة السفر إلى كردفان؛ لجمع ما يمكن جمعه من العساكر الشايقية والجهادية؛ لنجدة الزبير، وتذليل الصعاب، التي تقف حائلاً دون ذلك[٣]، فصدرت الموافقة على ذلك مع تكليفه بتوكيل نائب عنه بالخرطوم مدة غيابه، وتم تعريفه أيضاً بأن الحكومة قد أرسلت له أربعة بلوكات من العساكر الجهادية من سواكن[٤]، وفي الرابع عشر من جمادى الآخرة ١٢٩١هـ / ٢٩ يوليو ١٨٧٤م أبرق الحكمدار للقاهرة وهو في كردفان، يبلغها بأنه أرسل ما استطاع جمعه من العساكر والأسلحة؛ لنجدة الزبير، وأنه سيتجه بنفسه على رأس قوة أخرى؛ لدعم موقف الزبير، الذي سارع بجميع عساكره للمواجهة مع السلطان إبراهيم، كما عبّر الحكمدار في برقيته عن أمله بأن تكون السيطرة على دارفور أمراً ميسراً [٥]، وقد جاء الرَد في الخامس من رجب ١٢٩١هـ / ١٨ أغسطس ١٨٧٤م

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٤٩) دفتر رقم (٢٤) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٤٢/٨٣، ٤٢/٨٤) تلغراف رقم (٥٧١).
(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥٠) دفتر رقم (١٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٢٦/٥٢، ٢٧/٥٣) تلغراف رقم (٢٥٧).
(٣) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥١) دفتر رقم (٢٤) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٤٥/٨٩، ٤٥/٩٠) تلغراف رقم (٦٠٨).
(٤) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥٢) دفتر رقم (١٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٢٨/٥٦، ٢٨/٥٧) تلغراف رقم (٢٧١).
(٥) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥٤) دفتر رقم (٢٥) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص (٥٦ / ٢٨، ٥٧/ ٢٩) تلغراف رقم(٤٤٥).

متضمناً الموافقة على ما اتخذه الحكمدار من تدابير وإجراءات حيال السيطرة على دارفور أملاً في التعجيل بإلحاق هذه المنطقة بالحكمدارية[١].

محاولات السلطان إبراهيم الدبلوماسية للخروج من الأزمة:

أدرك السلطان إبراهيم المشاكل التي ستترتب على الصدام مع الزبير، والضعف الذي كانت عليه قواته، فقرر البحث عن حل دبلوماسي حيث كتب مجدداً للخديوي إسماعيل في الرابع من رجب١٢٩١هـ / ١٧ أغسطس١٨٧٤م شاكياً تعديات الزبير على حدود بلاده، وتأييد الحكمدار لتلك التعديات، كما ذكّر الخديوي بالعلاقات الطيبة، التي كانت قائمة بين سلطنة دارفور ومصر أيام أبيه، وطلب منه التدخل للحد من هذه التعديات بصفته الشخصية، أو التدخل للوساطة بينه وبين الزبير[٢]، غير أن الخديوي لم يعط اهتماماً لهذه الرسالة باعتبار جميع تحركات الزبير والحكمدار كانت بتوجيهاته وبمعرفته شخصياً، وحين فشل السلطان إبراهيم في مسعاه قرر- في محاولة أخيرة للخروج من تلك الأزمة - اللجوء إلى السلطات العثمانية عن طريق أمير مكة المكرمة[٣] الشريف عبدالله ين محمد بن عون لما له من مكانة وحظوة لدى العثمانيين، ولكونه عضو سابق بمرتبة وزير في مجلس الدولة العثمانية قبل عودته لتولي إمارة مكة المكرمة[٤]؛ فأرسل السلطان إبراهيم وفداً سرياً إلى الحجاز برئاسة وزيره وزوج أخته الحاج إدريس حاملاً المكاتبات اللازمة

---

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥٦) دفتر رقم (١٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص (١٢/٢٣) تلغراف رقم (١٥٠).

(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٥٩) دوسيه رقم (٣) ملف رقم (٥) مسلسل الوثيقة (بدون).

(٣) عزالدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١٣٦.

(٤) احمد السباعي: تاريخ مكة. ط٦. مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي، ١٤١٤هـ، ٢/٥٣٦.

ومبلغ مائتي ألف ريال نصفها للأستانة والنصف الآخر للشريف عبد الله؛ وذلك للحصول على دعم سياسي أو عسكري ضد الخديوي إسماعيل وحكومة السودان، وقد سلك الوفد طريق الواحات إلى أسيوط ليأخذ طريقه إلى الحجاز ومن هناك إلى الأستانة، غير أن الحكمدار كشف تلك الخطة بواسطة عيونه في دارفور، فبادر بإبلاغها للقاهرة في السابع من رمضان ١٢٩١هـ / ١٨ أكتوبر ١٨٧٤م، وبناء على ذلك أصدر الخديوي أوامره بمراقبة الوفد، وتتبع خطواته، والقبض عليه عند وصوله أسيوط، مع مراقبة موانئ الإسكندرية والسويس منعاً لوجود وفد آخر في طريقه لمغادرة البلاد [1]، وقد انتهى الأمر بإلقاء القبض على جميع أفراد الوفد، ومصادرة ما معه من مكاتبات ومبالغ مالية[2]، الأمر الذي حكم بالفشل على خطوة السلطان إبراهيم تلك.

ومن المرجح أن مهمة ذلك الوفد لن تجد النجاح حتى لو تمكن من مغادرة مصر للحجاز والآستانة؛ وذلك باعتبار دارفور قد أدرجت رسميا ضمن مناطق السيطرة المصرية بموجب فرمان سلطاني عثماني صدر منذ أواخر ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م، كما أن الدولة العثمانية لا يمكن أن تدخل في مشاكل جانبية مع واليها في مصر لأجل دارفور، ناهيك عن انشغالها بمشاكل عدة .

وعلى أية حال فقد ترتب على فشل محاولة السلطان إبراهيم تسارعاً في مسيرة الأحداث نحو حسم الحرب بينه وبين الزبير باشا، الذي تقدم نحو

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٦٠) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٦/٣ ، ٤/٧) تلغراف رقم (٢٦).
(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٦١) دفتر رقم (٢٠) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٤٧/٩٣ ، ٤٧/٩٤ ، ٤٨/٩٥) تلغراف رقم (٥٦٧).

دارة المدينة الثانية في دارفور بعد الفاشر، فاستعد أحمد نمر زعيم البرقد لمواجهته، وجمع ما تبقى من جيش الوزير أحمد شطه، وحاصر الزبير في قلعة دارة، وأخذ بشاغله كسباً للوقت حتى تصله الإمدادات من السلطان إبراهيم، ومن الغريب أن الزبير لم يحرك ساكناً تجاه هذا الحصار، بل انتظر حتى وصلت النجدة التي كان ينتظرها نمر، عندئذ أرسل الزبير فرقة من الجيش بقيادة قائد يدعى رابح، فاشتبك مع أحمد نمر، وتمكن من هزيمته وقتله، والاستيلاء على كثير من الغنائم[١].

عمل الزبير باشا خلال تلك الفترة على تحسين صورته لدى أهل دارفور متبرئاً من مسؤوليته في تلك الحرب؛ فكتب خطاباً إلى علمائها في غرة محرم١٢٩١هـ /فبراير١٨٧٤م شرح لهم فيه سبب تلك الحرب محملاً عرب الرزيقات والسلطان إبراهيم مسؤولية تفاقم الأوضاع، كما كتب رسالة أخرى في التاريخ نفسه للسلطان إبراهيم يحمله مسؤولية ما حدث، ثم كرر ذلك في شهر رجب / أغسطس بأن طلب من السلطان التسليم حقناً للدماء، إلا أن السلطان إبراهيم غضب من هذه المكاتبات، وأصر على مواصلة القتال، فجهز جيشاً كبيراً قدره الزبير باشا حسب روايته لحكومة القاهرة في مبالغة واضحة بمائة ألف مقاتل [٢]، ولعل مرد تلك المبالغة رغبة الزبير بإظهار قوة المواجهة التي لقيها في دارفور في وقت ذكر أن جيشه لا يزيد عن اثني عشر ألف مقاتل فقط، وفي واقع الأمر فإن المصادر لم تزد في تقديرها لجيش دارفور عن عشرة آلاف مقاتل، وأياً كان الأمر فقد سار جيش السلطان بقيادة عمه الأمير حسب

(١) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٥-٢٧٦.

الله تجاه دارة، فدخلها في رجب ١٢٩١هـ/ أغسطس ١٨٧٤م، وشرع في إحكام الحصار حولها من جهاتها الأربع، ثم خاطب الزبير عبر رسالة جاء فيها :"... لقد دخلت بلادنا، وقتلت وزيرنا أحمد شطه، ومن بعده أحمد نمر، فاخرج الآن من بلادنا، ونتعهد لك بان نشيعك بالسلامة والأمان ..."، وقد أجاب الزبير أعضاء الوفد بأنه قد دخل بلادهم عنوة بقصد إخضاعها لحكومة الخديوي، ولا ينوي الخروج منها إلا بعد تحقيق هذا الهدف أو الموت دونه، فإن كانوا قد جاؤوا للحرب فليتقدموا لها، وإلا فعليهم العودة من حيث جاؤوا، وإبلاغ الأمير حسب الله برده هذا (١).

وبعد عودة رسل الأمير حسب الله وإبلاغه بإجابة الزبير بدأت المناوشات العسكرية بين الجانبين، فسلطت قوات الزبير نيرانها على الأمير حسب الله وجنوده، وصبر جنود دارفور على هذه النيران لمدة سبعة أيام رغم مقتل عدد كبير منهم، واستمر الحصار والمناوشات، ومضت الأيام طويلة على هذا الحال حتى أوشكت ذخيرة الزبير على النفاذ، وفرغت مؤنه، وفيما كان الزبير يفكر في الخلاص من هذا الوضع بشن الهجوم النهائي، وفد إلى معسكره قائد عسكري من معسكر الأمير حسب الله يدعى أحمد ليفتدي ابنته، التي كان الزبير قد أسرها في موقعة أحمد شطه عارضاً عليه مقابل ذلك عشر أوقيات من الذهب، لكن الزبير دعا أحمد، وعرض عليه إطلاق سراح ابنته مقابل معلومات عن معسكر الأمير حسب الله، فقبل أحمد بذلك، وعاد إلى معسكر قومه بخدعة مفادها أن الزبير طلب منه عشرين أوقية من الذهب فداء لابنته، وهو لا يملك سوى نصفها، فأعطوه المبلغ، واستحثوه على المبادرة بإحضار ابنته

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

سريعاً؛ لأنهم ينوون الهجوم على الأسوار من جميع الجهات في اليوم التالي، فعاد أحمد إلى معسكر الزبير ليخبره بالخطة، فقرر الزبير الأخذ بزمام المبادرة، ومهاجمة قوات حسب الله ليلاً، حيث فاجأهم وهم نيام، وفي أثناء المعركة أصابت الزبير طلقة طائشة في يده اليمنى فجرح جرحاً بليغاً، ولكنه لم يعبأ به بل مضى بين رجاله يصدر لهم الأوامر، ويشد من عزائمهم، فلما أصبح الصباح كان معسكر الأمير حسب الله ممزقاً مشتتاً، وقد فر رجاله مخلفين وراءهم جثث القتلى من بينهم أربعين من أبناء السلطان، كما استولى الزبير وجنوده على نحو ألف درع، وألفين وسبعمائة خيمة، وثمانية مدافع قديمة نقش على بعضها اسم والي مصر سعيد باشا، إلى جانب الكثير من الأسلحة والذخائر الحربية والمؤن، وبعد ذلك اتجه الزبير إلى المدينة، وتحصن بقلعتها من جديد، ورغم الهزيمة المنكرة للأمير حسب الله إلا انه لم ييأس، بل عاود الهجوم للمرة الثالثة على أسوار قلعة داره بعد أسبوع من المعركة السابقة، لكن الهزيمة حلت مجدداً بقواته، وقام الزبير على رأس جيشه بتتبع ومطاردة الفارين لمسافة طويلة، عاد بعدها للتحصن بالقلعة من جديد استعدادا لأي هجوم آخر من جهة دارفور[1]، وقد بلغت خسائر جيش الأمير حسب الله في هذه المعارك الثلاث حوالي ستة آلاف رجل وذلك بخلاف الجرحى، فيما بلغت خسائر جيش الزبير حوالي أربعمائة رجل[2]، وكان لنتيجة المعركة الأخيرة أثرها البالغ في كسر شوكة جيوش السلطان، والتعجيل بإتمام عملية سيطرة الزبير على دارفور.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٨.

(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٦٧) دفتر رقم (٢٨) تلغرافات شفرة عربي ص (٤) تلغراف رقم (٢٥).

وإذا كان للخيانة التي ارتكبها القائد أحمد دورٌ في استخدام الزبير عنصر المفاجأة بمباغتة قوات الأمير حسب الله، وإفشال مخططاتها، وحسم القتال لصالحه، فإن لقدرات الزبير باشا القتالية والعقلية العسكرية الواعية - التي توافرت لديه - الأثر الحسن في تقويمه وتقديره للموقف واستغلال الإمكانات المتاحة له في إحراز النصر باهر؛ فقد ضمن هو ورجاله حماية طبيعية داخل أسوار قلعة دارة ضد هجمات جيوش دارفور المتتابعة، كما أن قلعة دارة كانت تشرف بحكم تصميمها على أرض المعركة، فكان من السهل استطلاع ما يدور داخل معسكر الأعداء بسهولة من داخلها؛ كما حدث في المعركة الثانية حين استطاع أن يرى من فوق مئذنة جامع دارة الهرج والجلبة، التي كانت تسود معسكر الأمير حسب الله، يضاف إلى ذلك تفاوت الإمكانات المادية للجيشين؛ إذ كانت قوات الزبير مسلحة بأحدث الأسلحة، وتتلقى المدد المتتابع من القاهرة، ناهيك عن الجيش المساند الذي كان يقوده الحكمدار في كردفان (١)، ومن ورائه الخديوي إسماعيل نفسه الذي كان شديد الاهتمام بنجاح مهمة الزبير.

لم يدخل اليأس إلى نفس السلطان إبراهيم إزاء ما حل بقوات الأمير حسب الله، فقرر الخروج بنفسه للحرب، وأعلن النفير العام، ودعا أتباعه للذود عن حياض وطنهم وبلادهم حتى استطاع أن يجمع في وقت قصير جيشاً كبيراً بالغ الزبير باشا -حسب روايته للحكومة المصرية - في تقدير

(١) يشير بعض الباحثين إلى أن من أسباب هزيمة قوات الأمير حسب الله في المعركة الثانية أنهم قد شربوا الخمر ليلاً، ثم راحوا في سبات عميق مثلاً: عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١٤٢، غير أن هذا لم يثبت في مصادر موثوقة، بل هي رواية سردها الزبير باشا نفسه في حديثة للمؤرخ نعوم شقير :المصدر السابق، ص٢٧٨، والزبير خصم لقوات دارفور، ولا يمكن أخذ ما قاله خاصة مع ما عرف من تدين سلاطين دارفور .

عدده مشيراً على أنه بلغ نحو مائة وخمسين ألفا[1]، وما تلك المبالغة إلا رغبة من الزبير في تصوير دوره الخارق في هزيمة جيش يفوق قواته بحوالي خمسة عشر ضعفاً، وقبل تحرك السلطان إبراهيم أوكل إدارة الأمور في الفاشر لابنه الأكبر محمد الفضل، ثم سار قاصداً دارة، فبلغها في الخامس من رمضان ١٢٩١هـ/ أكتوبر ١٨٧٤م، فحاصرها من جميع الجهات، ومضى يستعد لمهاجمة قلعتها في اليوم التالي، وفي الصباح بدأ الهجوم، فألقى السلطان بقواته كلها في المعركة قاصداً اقتحام المدينة في هجمة واحدة، ولكن رجال الزبير ردوه على أعقابه بعد أن أمطروا قواته بوابل من الرصاص، واستمرت هذه المعركة إلى غروب الشمس، وقبل طلوع شمس اليوم التالي عاود السلطان الهجوم على دارة، لكن هذا الهجوم أصابه الفشل مجدداً، غير أن ذلك لم يوهن عزيمة السلطان، فعاود هجومه للمرة الثالثة بعد صلاة الظهر في عزم واستبسال، لكن قواته تعرضت لنار أسلحة الزبير، فغطت جثث قتلى جيشه ساحة المعركة إلى أن وضع الليل حدا لهذه المجزرة، فانسحب السلطان تحت ستار القذائف المدفعية إلى بلدة منواشي، لكن الزبير استمر في مطاردته، واشتبك معه في معركة منواشي في الرابع عشر من رمضان/٢٥ أكتوبر، ورغم التفوق الذي أبدته قوات السلطان حين ألحقت الهزيمة بمقدمة جيش الزبير، إلا أن ذلك التفوق لم يدم طويلا، إذ ما لبثت قوات الزبير أن ألحقت الهزيمة بالسلطان، الذي خر قتيلاً بعد أن أبدى شجاعة فائقة، كما قتل عدد من أبنائه وكبار رجاله، وبعد توقف القتال قام الزبير بتكفينه ودفنه في جامع منواشي في احتفال عظيم "..إجلالا لمقامه،

(١) نعوم شقير : المصدر السابق، ص٢٧٩.

وإقراراً ببسالته .."- حسب تعبير الزبير -، وعلى اثر ذلك الانتصار تهيأت السبل أمام الزبير لفرض سيطرته على دارفور، فتحرك من منوا شي بعد أيام من مقتل السلطان ابراهيم، ودخل الفاشر في الثالث والعشرين من رمضان /٣ نوفمبر فوجد أن عائلة السلطان قد تركتها، ولم يبق بها سوى التجار والعلماء فأمنهم على أنفسهم، وبدا أن جميع سلطنة دارفور متجهة لإبداء الطاعة للزبير [١].

أما إسماعيل باشا أيوب فقد سار بالجيش الآخر لغزو دارفور من جهة الشرق، حيث أخضع فوجة، وأم شنقة[٢]، والقونين ليلحق بعد ذلك بقوات الزبير، الذي سبقه في دخول الفاشر، وفرض السيطرة عليها، بينما وصل الحكمدار إلى الفاشر في الأول من شوال/١١نوفمبر، حيث رحب به الزبير بمائة قذيفة مدفعية، فهنأه الحكمدار بالنصر، وشكره على ولائه، وحسن خدمته[٣].

وقد تمت ترقية الضباط الذين ساهموا في السيطرة على دارفور إلى رتب أعلى بناء على توصية الحكمدار في رجب ١٢٩١هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٧٤م[٤]، وفي التاسع والعشرين من شوال ١٢٩١هـ / ١٠ ديسمبر ١٨٧٤م أرسلت إرادة سنية إلى الحكمدار تهنئه على هذا النصر العظيم للمرة الثانية، وإنعام الخديوي عليه برتبة الفريق، والنيشان المجيدي العالي من الطبقة الأولى، كما منح الزبير رتبة اللواء، والنيشان

(١) المصدر نفسه، ص ص٢٧٩-٢٨١.

(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٩٦) دفتر رقم (٢٧) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٣٥/٧٠، ٣٦/٧١) تلغراف رقم (٢٣٧) وكذلك وثيقة رقم (٠) دفتر رقم (٢٧) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٦٧) تلغراف رقم (٤٤٨).

(٣) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٣) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٨٦) محفظة رقم (٥١) معية سنية تركي وثيقة رقم (٣٧٧) تحريرات.

المجيدي من الطبقة الثانية، بالإضافة إلى لقب الباشوية، وتم تكليف الحكمدار بتوجيه الاهتمام الكافي لتنظيم أمور هذه المديرية الجديدة، والعمل على راحة أهاليها، وطلب ما يلزم لها من الجنود والموظفين[١].

نتائج سقوط دارفور :

لم تمض أيام على سقوط الفاشر حتى تفجر الوضع مجدداً؛ نتيجة تحرك عسكري قاده الأمير حسب الله وعدد من أبناء السلطان الراحل وأقاربه انطلاقاً من جبل مرة[٢]، وقد أبلغ الحكمدار القاهرة في ٢٧ شوال ١٢٩١هـ / ٨ ديسمبر ١٨٧٤م بسيطرته على الفاشر، وتأمين أهلها، وتحرير الرقيق فيها، كما أبلغها بأن عائلة السلطان إبراهيم قد اجتمعت بعد مصرعه، وبايعت الأمير حسب الله سلطاناً[٣]، وعلى الرغم من تكليف الحكمدار للزبير بقيادة اثني عشر ألف مقاتل لمطاردة الأمير حسب الله وأنصاره[٤]، إلا أن الحكمدار حاول الحفاظ على مكتسباته بتهدئة الأوضاع، واستمالة الأمير حسب الله عبر رسالة وعده فيها بالعفو عنه وعن أتباعه، وإعادة ممتلكاتهم إذا ما استسلموا دون مقاومة، فلما رأى الأمير حسب الله قوة جيش الزبير، وأنه لا قدرة له على مقاومته سلم له بلا قتال[٥]، وتبعاً لتلك الانجازات فقد أبرق الحكمدار للقاهرة بما حدث في السابع عشر من ذي الحجة ١٢٩١هـ / ٢٦ يناير ١٨٧٥، مقترحاً

---

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٨٧) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص (٩/١٨) تلغراف رقم (١٤٣) .

(٢) نعوم شقير: المصدر السابق، ص٢٨١.

(٣) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٧٦) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٢٤/٤٨، ٢٥/٤٩) تلغراف رقم (٣٢٢).

(٤) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٧٧) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٧٨ / ٣٩، ٤٠/٧٩) تلغراف رقم (٥١٦).

(٥) نعوم شقير: المصدر السابق، ص٢٨١.

تعيين الزبير مديراً لعموم دارفور وحسن بك حلمي قومندانا على العساكر الجهادية[١].

أما الأمير حسب الله فقد طلب من الزبير السعي لدى المسئولين في القاهرة لتعيينه حاكماً لإقليم دارفور تحت إمرة الحكومة الخديوية مقابل مائة ألف جنيه يدفعها سنوياً للدولة، تلقى هذا الرأي من الزبير الموافقة، ووجد فيه خير سبيل لراحة البلاد والحكومة من هذه المسئولية المكلفة، فتعهد له ببذل كل عون في سبيل تحقيق رغبته، غير أنه عندما تقدم بهذا الاقتراح إلى إسماعيل باشا أيوب رفضه الأخير رفضاً باتاً؛ لعدم توفر الضمانات الكافية لإلزام الأمير حسب الله بتنفيذ تعهداته بدفع الجزية، وضمان استمرار طاعته للحكومة المصرية، إضافة إلى روح العداء والكراهية التي يكنها زعماء دارفور للزبير والحكومة، واحتمال عدم استمرارهم في إخلاصهم وولائهم تجاه الحكومة، وقيامهم بالثورة ضدها انتقاماً للقضاء على السلطنة، الأمر الذي سيؤدي إلى ضياع الجهود والأموال التي بذلت في السيطرة على الإقليم، وعودة دارفور إلى وضعها الاستقلالي السابق، على أن انعدام الثقة والتفاهم بين الزبير والحكمدار كان سبباً رئيساً في وأد الفكرة قبل عرضها على الخديوي في القاهرة[٢].

وأياً كان الأمر فقد تم إرسال الأمير حسب الله وعائلته وأتباعه البالغ عددهم ستة وتسعين فرداً من ذكور وإناث إلى الخرطوم، فوصلوها في التاسع والعشرين من محرم ١٢٩٢هـ / ٧ مارس ١٨٧٥م، لينضموا

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٧٨) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٣٧/٧٤، ٣٨/٧٥) تلغراف رقم (٢٥).
(٢) عز الدين إسماعيل: المصدر السابق، ص١١٦٣-١٦٤.

إلى أبناء السلطان إبراهيم قرض، الذين تم القبض عليهم بعد فرارهم، وهم محمد الفضل ، وعبد الرحمن جامع وعبد الرحمن شاطوط شقيق السلطان ومعهم عائلاتهم وأتباعهم البالغ عددهم مائتان وثلاثة وعشرين رجلاً [١]، وبعد فترة وجيزة تم نقلهم إلى القاهرة، حيث استقروا في الحي المعروف بسوق السلاح، وأجريت لهم المرتبات، فعاشوا في سلام، وكان من بينهم الأمير عبد الحميد ابن السلطان إبراهيم وتسعة عشر آخرين من أخوته[٢].

ولم يمض على ثورة الأمير حسب الله شهر حتى أعلن شقيقه الأمير بوش الثورة مجدداً في جبل مرة ؛ فأرسل الحكمدار رسالة إلى الزبير في دارة كلفه فيها بالخروج لإخماد الثورة، وإعادة الأمن والسلام إلى ربوع البلاد، فامتثل الزبير للأمر؛ وخرج بجيشه قاصداً جبل مرة، فقام بمحاصرته، وبعد معارك استمرت خمسة عشر يوماً، هرب الأمير بوش، فقام الزبير بتعقبه حتى أدركه قرب بلدة تدعى كبكبية، فدارت بينهما معركة انتهت بمصرع الأمير بوش، وفرار جيشه[٣].

ولتثبيت الأحوال في دارفور فقد أبرق الحكمدار إلى الخديوي مقترحا إلحاق كردفان بالجهات الغربية تحت حكم خالد باشا، وتعيين الزبير مديراً على دارفور، وحسن بك حلمي قومندانا على العساكر النظامية، وحسن بك رفعت مديراً على كردفان[٤]، وقد صدرت إرادة سنية

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٧٩) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٨٤/٨٧) تلغراف رقم (٦٠٥).
وثائق عابدين: وثيقة رقم (٨٠) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي ص ص (٤٨/٩٥، ٤٨/٩٦) تلغراف رقم (٦٨٨).
(٢) محمد بن عمر التونسي: المصدر السابق، ص١٧٥.
(٣) نعوم شقير: المصدر السابق، ص٢٨٢.
(٤) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٩٦) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص ص (٣١/٦٢ ، ٣٢/٦٣) تلغراف رقم (٤١٨).

إلى حكمدار السودان في السادس من محرم ١٢٩٢هـ / ١٣ فبراير ١٨٧٥م تعلمه بأنه سوف تصدر الأوامر اللازمة بتعيين الزبير باشا مديراً عاماً على دارفور، وتخبره بصفة قاطعة بعدم مغادرة الفاشر إلى الخرطوم إلا بعد صدور التعليمات بذلك إليه(١).

على أن التعليمات الصادرة من القاهرة في التاسع عشر من محرم / ٢٦ فبراير تضمنت رفضاً لفكرة الحكمدار بتعيين الزبير حاكماً لدارفور؛ خوفاً من نزعته الاستقلالية، كما أن انشغاله في التجارة سوف يمنعه من ممارسة مهام عمله، إضافة إلى أن جنوده سينفرون من إتباعهم لنظام خاص، في وقت سيؤدي خضوعهم للنظم العسكرية الحكومية إلى مطالبتهم بمرتبات كبقية الجنود الآخرين، وهو ما يصعب تحقيقه في ظل ضعف الموارد المالية، على أن السبب الرئيس لرفض تعيين الزبير حاكماً لدارفور يتمثل في خوف الحكومة من نفوذه؛ خاصة إذا ما عرف أن الهدف الأساس لتكليفه بمهاجمة دارفور هو إضعاف قوته لا تنميتها، وبناء على تلك المبررات، فقد تم تعيين حسن بك حلمي حاكماً لدارفور بعد ترقيته لرتبة لواء(٢)، فيما طلب من الزبير السفر إلى القاهرة فوصلها في السادس من جمادى الأولى ١٢٩٢هـ/العاشر من يونيه ١٨٧٥م، والتقى الخديوي بقصر الجيزة، فرحب به، وبالغ في إكرامه، وأفرد له أحد قصوره بالعباسية، فاستقر به مع أسرته وأتباعه ضيوفاً على الخديوي، وبعد شهرين التقى الخديوي ثانية بقصر الجيزة، وأصدر له أمراً بالتأهب

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٩٧) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص (٤٢/٨٣) تلغراف رقم (٦٢٤).
(٢) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٩٨) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي ص ص (٤٦/٩٢ ، ٤٧/٩٣ ، ٤٧/٩٤، ٤٨/٩٥) تلغراف رقم (٦٩١).

للسفر قريباً إلى السودان، فشكره الزبير على ذلك، ودعا له، وشرع يستعد للسفر منتظراً تعليمات الخديوي بذلك، لكن اللقاء الثالث بينهما حمل أخباراً غير سارة للزبير، إذ طلب منه الإقامة في القاهرة إقامة دائمة، فانصرف الزبير حزيناً على ما آل إليه أمره(١).

ولقد كان ذلك القرار إيذاناً بنشوب الثورة الأولى ضد الحكم المصري في دارفور، وقد تزعم تلك الثورة سليمان بن الزبير رحمة ووريثه في تجارة الرقيق، وذلك بسبب قرار الخديوي إبقاء والده في القاهرة، وقد سجلت الحكومة أولى علامات الفشل في دارفور حين أبدت عجزها عن السيطرة على تلك الثورة، فاستعانت بالقائد البريطاني غوردون "Gordon" لتثبيت الوضع في غرب السودان، وأطلقت يده للعمل كيفما شاء تحت ذريعة القضاء على تجارة الرقيق، وقد تمكن غوردون من مفاجأة سليمان في معسكره، وإجباره على الاستسلام، لكنه سرعان ما جدد تمرده، فهاجمته قوات بقيادة القائد جسي، وتمكنت من القضاء عليه مع عشرة من أتباعه(٢).

وعلى الرغم من القضاء على ثورة سليمان إلا أن الثورات تزايدت باتجاه ذو بعد وطني لدى أهالي دارفور؛ حيث أعلن الأمير هارون بن سيف الدين بن السلطان محمد الفضل الثورة ضد الحكم المصري سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م مستنداً على دعم الأهالي، الذين عانوا من سوء معاملة القوات المصرية، وثقل الضرائب(٣)، وقد قام الثوار بحصار

(١) نعوم شقير: المصدر السابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) ونستون تشرشل: المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

(٣) محمد سلامة النحال: نضال شعب السودان خلال قرن من الزمان. ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م،ص١٦.

الحاميات المصرية في الفاشر ودارة وكلكل، مما أفزع السلطات في الخرطوم، فأرسلت القوات العسكرية بقيادة عبدالرزاق باشا لصد الثوار، لكن تلك الخطوة لم تحقق النجاح المؤمل، الأمر الذي دعا الحكومة الخديوية لإرسال القائد البريطاني جوردون مجدداً لضبط الأوضاع في دارفور،[٢] وقد حاول جوردون إصلاح السياسة المصرية هناك، والتعامل برفق مع الأهالي، كما اقترح تعيين أحد أبناء السلطان إبراهيم قرض المنفيين في مصر حاكماً للإقليم، وإزاء تكرر الاضطرابات وافقت حكومة القاهرة على تلك الفكرة، فقررت عزل حسن باشا حلمي، وتعيين الأمير عبد الشكور عبد الرحمن شلتوت المقيم في القاهرة بدلاً منه، لكن المنية عاجلت الأمير عبد الشكور قبل وصوله إلى دارفور، فتوفي في دنقلة، فتقرر العودة للحكم العسكري في دارفور، حيث تم تعيين المقدم رحمة قومو حاكماً، لكن ثورة الأمير هارون استشرت وتزايد المنضمون لها، مما دعا إلى عقد تحالف بين قادة حاميات دارفور نجح في القضاء على الثورة، وقتل الأمير هارون في وادي ابتر على يد قوات النور عنقرة مدير حامية كلكل سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م [١].

وفي واقع الأمر فإن القضاء على ثورة الأمير هارون لم يضع حداً للثورات ضد الحكم المصري في دارفور، فاستمرت المقاومة ضد هذا الحكم، الذي لم يهنأ باستتباب الوضع في دارفور، وإذا كانت موافقة حكومة الخديوي على تعيين الأمير عبد الشكور حاكماً لدارفور قد جاءت رغبة في تهدئة أحوالها، وضمان أمنها، بعد أن ثبت خلال السنوات الست التالية لسقوطها أن استقرار الوضع فيها ضرباً من الخيال؛ فإن العودة

(١) أحمد عبد القادر أرباب: المصدر السابق، ص ١٤١-١٥٠.

للحكم العسكري المتمثل بالمقدم رحمة قومو قد ساهم في مزيد من الاضطرابات في الإقليم، كما ساهم في تراخي قبضة الحكومة المصرية عليه، ثم جاءت الثورة المهدية سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م لتتمكن خلال ثلاث سنوات فقط من السيطرة على مناطق السودان، وإخراج دارفور من تبعية الحكومة الخديوية، والسيطرة عليها في الثالث والعشرين من صفر ١٣٠١هـ/٢٣ديسمبر١٨٨٣م [١].

ولعل مما ساعد على ضعف القبضة المصرية على دارفور قلة الاهتمام المصري بتلك المنطقة، وعدم الاهتمام بحمايتها، إذ تشير المصادر إلى أن مجموع القوات التي وضعت لحماية منطقة دارفور بكاملها قارب خمسة آلاف مقاتل، وربما كان مرد ذلك استبعاد قيام قوة سياسية في المنطقة بعد القضاء على سلطنة دارفور، إذ كانت السلطات في حكومة السودان ترى أن الخطر الأكبر في هذا الجانب لا يعدو محاولات بعض سلالة سلاطينها للقيام بتحركات لا يتطلب القضاء عليها مزيداً من القوات، لذا يمكن القول أن سيطرة حكومة الخديوي على دارفور كانت أشبه بـ"..بيت من ورق.."[٢]، ومما لاشك فيه أن ذلك الإهمال المصري لدارفور قد جاء نتيجة حتمية لوقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني منذ عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، ومما زاد من العبء على الحكومة المصرية أن الوضع الجديد قد شجع السودانيين لاسترداد أراضيهم مجدداً[٣].

---

(١) آرثر روبنسون: المصدر السابق، ص٢.

(٢) ونستون تشرشل: المصدر السابق، ص٣٢.

(٣) محمد سلامة النحال: المصدر السابق، ص ١٦.

وحين تمكنت الحركة المهدية من السيطرة على دارفور جرت محاولات لاستعادة المجد الضائع على يد من بقي من ذرية سلاطينها الأوائل ومنهم الأمير يوسف بن إبراهيم قرض ثم أخيه أبو الخيرات، ثم علي دينار بن الأمير زكريا ابن السلطان محمد الفضل، ومن بعده السلطان حسين محمد أبو كودة، الذي تمكن من الإطاحة بسلطة المهدية في دارفور في ذي القعدة ١٣١٥هـ/ ابريل ١٨٩٨م مستغلاً الضعف الذي وصلت له تلك السلطة ليس في دارفور فحسب بل في جميع أراضي السودان، مما نتج عنه سقوط المهدية تماماً [١].

وعلى أثر عودة نفوذ حكومة الخديوي المدعم بالنفوذ البريطاني إلى دارفور بعد سقوط المهدية نجح الأمير علي دينار بالوصول إلى اتفاق مع حكومة السودان، تم بموجبه إسناد إدارة دارفور مقابل تعهده بدفع مبلغ سنوي لتلك الحكومة، وعلى الرغم من اتخاذه لقب السلطان، ومحاولته استعادة مجد أسرته الضائع، والتغني بذلك المجد عبر ختمه الرسمي، واتخاذ كثير من مظاهر دولة أجداده[٢] وما كاد أن يشكله من تهديد للسلطات البريطانية في كردفان بمبادرته للهجوم العسكري عليها [٣]؛ إلا أن واقع الحال يؤكد اختلاف اليوم عن الأمس .

على أن النتيجة الأبرز لتلك الأحداث في دارفور كانت امتداد النفوذ البريطاني في المنطقة؛ بحجة الحد من نفوذ الحركة المهدية، واستعادة حكم المنطقة منها، الأمر الذي انتهى بتوقيع اتفاقية لترسيم الحدود بين

---

(١) احمد مختار ارباب: المصدر السابق، ص ص ٢٤١-٢٥٣-٢٦٩

(٢) نعوم شقير :المصدر السابق،ص٩٦٥،١٧٦.وقد حمل ختمه عبارة:"السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا ابن السلطان محمد الفضل ابن السلطان عبدالرحمن الرشيد ابن السلطان بكر ١٣٠٠هـ"

(٣) FO 141/426/9

مصر والسودان طبقاً لاتفاقية الحكم الثنائي سنة ١٨٩٩م[١]، ووضع الحد الفاصل بين شطري الإدارة الثنائية (البريطانية – المصرية) لمصر والسودان، اللذين ظلا خاضعين لسلطة والي مصر، ويدينان بالولاء للباب العالي إلى أن تغيرت موازين القوى في المنطقة، كنتيجة حتمية للحرب العالمية الأولى، والصدام الأنجلو-عثماني خلالها، حيث أبدت السلطات البريطانية اهتماماً بالسيطرة على أملاك الدولة العثمانية في السودان بما فيها دارفور حسبما توضحه الوثائق البريطانية في تلك الفترة[٢]، الأمر الذي قاد إلى نهاية أسطورة سلطنة دارفور على يد حكومة السودان التابعة للإنجليز عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م بعدما أبدى سلطان دارفور علي دينار تعاطفا ومبادرة لمساندة الدولة العثمانية ضد الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، فجهز جيشا لشن الهجوم على القوات البريطانية، واحتلال كردفان[٣]، كما أعلن استقلاله التام عن السودان، فجاء الرد الانجليزي بمهاجمة دارفور، والسيطرة على الفاشر في العشرين من رجب ١٣٣٤هـ/٢٣ مايو ١٩١٦م، وبعد مطاردة للسلطان تم القبض عليه، وحين وقع أسيراً أطلق الرصاص على نفسه، فكانت نهايته، وزوال سلطنة دارفور نهائياً [٤].

الخاتمة

(١) البرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية. ترجمة: نبيل صلاح الدين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٩٩م، ١١٣/٢.

(٢) F.o38M49/G4/11/23 *1916.*

(٣) F.o38M49/G4/11/22 *1916*

(٤) حسن قنديل: المصدر السابق، ص ص ٢٣،٤٣-٤٤.

تميّز إقليم دارفور بأهمية كبيرة كجزء من الأراضي السودانية، وأصبح منذ القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي مركزاً مهماً في التكوين السياسي للسودان باعتباره حلقة وصل بينها وبين الوحدات السياسية الغربية المجاورة، وباعتبار ثرواته الطبيعية حسب مقاييس تلك الحقبة، ولتلك الأسباب وغيرها فقد وضع محمد علي باشا والي مصر نصب عينيه حين بدأ حركته التوسعية في السودان ضرورة السيطرة على دارفور، لكن محاولاته باءت بالفشل؛ نظراً للقوة التي تمتعت بها سلطنة دارفور خلال تلك الفترة بجانب انشغال محمد علي باشا في مشاكل أخرى، ولم يغب عن ذهن خلفائه ضرورة العمل بجدية للسيطرة على ذلك الإقليم، وبعدما يزيد عن أربعة قرون من عمر سلطنة دارفور الإسلامية انضم الإقليم إلى حكومة الخديوي إسماعيل، الذي حقق طموحاً راود كبير الأسرة الخديوية من قبل .

وقد أخذ الحكم المصري طابعاً استبدادياً محكماً معتمداً على الحاميات العسكرية، لذا فإن أهالي دارفور لم يتقبلوا ذلك الحكم، وبقي ولاؤهم قوياً للسلطنة وتاريخها؛ في ظل معاناتهم من ثقل الضرائب، وتقلص مواردهم المالية بعد منع تجارة الرقيق التي كانت مصدر رزق لهم؛ لذا فقد انتشر العنف واضطرب الأمن، وتكررت الصراعات بين السكان؛ لأسباب اقتصادية حول المراعي والماشية والأراضي، فدبت في الإقليم فوضى عارمة، مما نتج عنه قيام الثورات ضد الحكم المصري بدءً بحركة سليمان بن الزبير رحمة، والتي أثبتت فشل حكومة السودان، ومن ورائها حكومة القاهرة في السيطرة على دارفور مما دعاها للاستعانة بالقائد البريطاني غوردون في تلك المهمة .

وعلى الرغم مما حاق بسلطنة دارفور من هزيمة إلا أن زعماء الإقليم لم يستكينوا بل شرعوا في تكوين حكومة الظل من الأمراء وزعماء القبائل وكبار الأعيان، وأنيط بتلك الحكومة مهمة المقاومة، وإعادة كيان سلطنة دارفور مجدداً، حيث ظلت فكرة الدولة بكيانها المقارب للمفهوم الحديث متغلغلة في مجتمع دارفور، حيث امتلكوا قدرا من الوعي والإدراك جعلهم يؤسسون الهيكل السياسي والإداري للدولة بطريقة تضمن الاستمرار والتطور بما يلائم طبيعة البيئة التي نشأت فيها دولتهم أو سلطنتهم، التي امتدت لما يزيد على أربعة قرون، ولعل تعمق مفهوم الدولة والاستقلال لديهم كان سبباً مهماً في قيامهم بكثير من الثورات المتعاقبة ضد الحكم المصري العثماني في دارفور على مدار تسع سنوات ونصف، ثم ضد سيطرة الحركة المهدية على بلادهم، فخلال الفترة التي تلت سقوط سلطنة دارفور بيد السلطات المصرية جرت محاولات من بعض سلالة سلاطينها لاستعادة الحكم المفقود من حكومة الخديوي، ومن أبرز هؤلاء الأمير حسب الله بن السلطان محمد الفضل، ثم أخوه الأمير بوش، ثم الأمير هارون ابن الأمير سيف الدين بن السلطان محمد الفضل، غير أن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح نظراً ليقظة السلطات في المنطقة إلا أنها شكلت قلقاً للسلطات المصرية، التي فشلت في كبح جماح الثورات؛ مما جعلها تعيد التفكير في إعادة سلالة سلاطين دارفور إلى الحكم، وعلى الرغم من مجيء الثورة المهدية بلباس المخلص لأهالي دارفور من التبعية للحكومة الخديوية على أن الأهالي ثبتوا على مبدأ العودة للسلطنة، والاستقلال عن أي نفوذ آخر، فواجهت المهدية مقاومة ونشاط استقلالي من أبناء دارفور، واستمر الوضع مشتعلاً في الإقليم، كما كان

قبل السيطرة المهدية، وعلى الرغم من عودة نفوذ الحكومة المدعم بالقوة البريطانية إلا أن أهالي دارفور ظلوا في ولائهم للسلطنة، فبايعوا السلطان علي دينار، وشهدت بلادهم شيئاً من الاستقلال بقيادته، حتى آذنت شمس السلطنة للمغيب مع بزوغ شمس الحرب العالمية الأولى، وانتهاء سياستها التقليدية المتمثلة بالحفاظ على أملاك الدولة العثمانية، ثم إقدامها على إتمام احتلال السودان، وما تلا ذلك من تغييرات عامة في الخريطة السياسية للسودان بعد تخلصها من نير الاستعمار البريطاني، وتحقيق استقلالها، وعودة دارفور للاتحاد مع باقي الأراضي السودانية.

قائمة المصادر والمراجع

(١) الوثائق العربية غير المنشورة:

(أ) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق عابدين:

(١) وثائق عابدين: وثيقة رقم (٢٤) دفتر رقم (١٨٧٥) وارد مكاتبات معية سنية مكاتبة رقم (١٠)

(٢) _____: وثيقة رقم (٢٥) دفتر رقم (١٧) تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (١٣٨).

(٣) _____: وثيقة رقم (٣١) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٦٥)

(٤) _____: وثيقة رقم (٣٢) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٦٦).

(٥) _____: وثيقة رقم (٣٣) دفتر رقم (٢٣) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم ٦٧.

(٦) _____: وثيقة رقم (٣٨) دفتر (١٧) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم ٢٠١.

(٧) _____: وثيقة رقم (٤١) دفتر رقم (١٩٤٨) أوامر عربي أمر رقم (٩٧).

(٨) _____: وثيقة رقم (٤٤) دفتر رقم (١٨٧٥) قيد الإفادات الواردة إلى المعية من المديريات وللمحافظات إفادة رقم (٢٩).

(٩) _____: وثيقة رقم (٤٥) دفتر رقم (١٩٤٨) صادر المعية عربي مكاتبة رقم (٢٧).

(١٠) _____: وثيقة رقم (٤٦) دفتر رقم (١٩٤٨) أوامر عربي ص

(٧٣) أمر رقم (٢٥).

(١١) _____: وثيقة رقم (٤٩) دفتر رقم (٢٤) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٥٧١).

(١٢) _____: وثيقة رقم (٥٠) دفتر رقم (١٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٥٧).

(١٣) _____: وثيقة رقم (٥١) دفتر رقم (٢٤) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٦٠٨).

(١٤) _____: وثيقة رقم (٥٢) دفتر رقم (١٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٧١).

(١٥) _____: وثيقة رقم (٥٤) دفتر رقم (٢٥) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (٤٤٥).

(١٦) _____: وثيقة رقم (٥٦) دفتر رقم (١٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (١٥٠).

(١٧) _____: وثيقة رقم (٥٩) دوسيه رقم (٣) ملف رقم (٥) مسلسل الوثيقة (بدون).

(١٨) _____: وثيقة رقم (٦٠) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٦).

(١٩) _____: وثيقة رقم (٦١) دفتر رقم (٢٠) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٥٦٧).

(٢٠) _____: وثيقة رقم (٦٧) دفتر رقم (٢٨) تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٥).

(٢١) _____: وثيقة رقم (٩٦) دفتر رقم (٢٧) وارد عابدين

تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٣٧).

(٢٢) _____: وثيقة رقم (٠) دفتر رقم (٢٧) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٤٤٨).

(٢٣) _____: وثيقة رقم (٨٦) محفظة رقم (٥١) معية سنية تركي وثيقة رقم (٣٧٧) تحريرات.

(٢٤) _____: وثيقة رقم (٨٧) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (١٤٣) .

(٢٥) _____: وثيقة رقم (٧٦) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٣٢٢).

(٢٦) _____: وثيقة رقم (٧٧) دفتر رقم (٢٨) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٥١٦).

(٢٧) _____: وثيقة رقم (٧٨) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٢٥).

(٢٨) _____: وثيقة رقم (٧٩) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٦٠٥).

(٢٩) _____: وثيقة رقم (٨٠) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة عربي تلغراف رقم (٦٨٨).

(٣٠) _____: وثيقة رقم (٩٦) دفتر رقم (٢٩) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (٤١٨).

(٣١) _____: وثيقة رقم (٩٧) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (٦٢٤).

(٣٢) _____: وثيقة رقم (٩٨) دفتر رقم (٢١) وارد عابدين

تلغرافات شفرة تركي تلغراف رقم (٦٩١).

(٢) الوثائق الأجنبية غير المنشورة:

(1) F.O. 141/426/9

(2) F.O. 38M49/G4/11/22 *1916*

(3) F.O.38M49/G4/11/23 .

(٣) المراجع :

(١) احمد السباعي: تاريخ مكة. ط٦. مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي، ١٤١٤هـ.

(٢) احمد عبد القادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور . ط١، الخرطوم: جامعة الخرطوم، ١٩٩٨م.

(٣) آرثر روبنسون: "السلالة العربية الحاكمة في دارفور ٨٥٢-١٢٠١هـ/١٤٤٨-١٨٧٤". مجلة الفسطاط. نوفمبر ٢٠٠٦م.

(٤) البرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية. ترجمة: نبيل صلاح الدين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

(٥)حسن قنديل: فتح دارفور سنة ١٩١٦م. ط١. الإسكندرية: مطبعة العدل، ١٣٥٦هـ.

(٦) خليل الرجبي: تاريخ الوزير محمد علي باشا. تحقيق دانيال كريسيليوس وآخرين. ط١. القاهرة: دار الآفاق، ١٤١٧هـ.

(٧) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى. القاهرة: دار الثقافة، د.ت.ن.

(٨) سيد فليفل " مشكلة دار فور بيـــن التدخل الدولي والأزمة الداخلية". المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر. الموسم الثقـــافي ٢٠٠٧ م. الجماهيرية الليبية.

(٩) شكري الفيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول. ط٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.

(١٠) عايض الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧-١٢٥٥/١٨٣١-١٨٣٩م. ط١. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٤هـــ.

(١١) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار الجيل، د.ت.ن، ٣/٦٠٥.

(١٢) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي. ط٥. القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٩هـــ.

(١٣) عبد الوهاب الكيالي وآخرون : موسوعة السياسة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. د.ت، ١/١٩٠-١٩١.

(١٤) عز الدين إسماعيل: الزبير باشا ودوره في السودان. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م،.

(١٥) محمد بركات: مشكلات الحدود العربية. ط١. القاهرة: مطابع العبور، ٢٠٠٥م.

(١٦) محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق خليل عساكر ومصطفى مسعد. القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٥م.

(١٧) محمد سلامة النحال: نضال شعب السودان خلال قرن من الزمان. ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م.

(١٨) محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ.

(١٩) مصطفى مسعد: "سلطنة دارفور-تاريخها وبعض مظاهر حضارتها". مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١١، ١٩٦٣م.

(٢٠) نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث. تحقيق إبراهيم أبوسليم. بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م.

(٢١) ونستون تشرشل: تاريخ الثورة المهدية. ترجمة: عز الدين محمود. ط١. جدة: دار الشروق، ١٤٢٧هـ.

ملحق رقم(١)*

The National Archives

Item details FO 141/426/9

Records created and inherited by the Foreign OfficeFO

Records of Embassies, Legations, Consulates, etcDivision within FO

Foreign Office and Foreign and Commonwealth Office: FO 141

Embassy and Consulates, Egypt: General Correspondence

General correspondenceFO 141/778

Record Summary

* معلومات جغرافية عن دارفور:وداي ودارفور ماهاغي- تفاصيل ترسيم الحدود ، وعمليات مسح الحدود والتراعات. ويتضمن العديد من الخرائط على النحو التالي : الخريطة الفرنسية اقترحت على الحدود الشمالية في ماهاغي الشريط ، الحجم [١:٢٥٠٠٠٠] (٣)خرائط تبين Coode وJadot مقترحات للحدود بين السودان والكونغو البلجيكية ، على نطاق [١:٢٠٠٠٠٠] ؛ الاتفاق الحدودي شرق الكونغو مع خريطة الحدود الجديدة المقترحة ، جدول [١:٥٠٠٠٠٠] ؛ ٢ رسم خرائط ترسيم ماهاغي القطاع ، وشملت مع السير FH إرسال فيليرز ، مقياس [١:١٠٠٠٠٠] ؛ ٢ الخرائط الواردة في نشرة دو Comité ، تظهر لأول مرة جغرافيا وسط افريقيا ، واحد من وداي ، مقياس [½ بوصة : ٥٠km] ، وأخرى بعنوان "تنظيم الأراضي العسكري دو تشاد" [١:٣٠٠٠٠٠٠] ؛ الخرطوم الاستخبارات خريطة تبين الحدود بين انكلترا وفرنسا على مناطق النفوذ ، على نطاق [١:٤٠٠٠٠٠٠] ؛ نسخة Dr.Nachtigal / خريطة رحلاته في ١٨٧٥م ، على نطاق [١:٣٠٠٠٠٠٠].

Wadai-Darfur and Mahagi strip frontier issues: Details of boundary delimitation, survey operations and frontier disputes. Contains several maps as follows: French map of Britain's proposed Northern frontier in the Mahagi strip, scale [1:250,000]; 3 maps showing Coode and Jadot's frontier proposals for Sudan-Belgian Congo, scale [1:200,000]; Eastern Congo Frontier Agreement with map of proposed new frontier, scale [1:500,000]; 2 sketch maps of delimitation of Mahagi Strip, included with Sir F.H. Villiers despatch, scale [1:100,000]; 2 maps reproduced in Bulletin du Comité, showing for the first time the geography of central Africa, one of Wadai, scale [½ inch: 50km], the other entitled"Territoire Militaire du Tchad" [1:3,000,000]; Khartoum Intelligence Office Map, showing boundaries of Anglo-French spheres of influence, scale [1:4,000,000]; copy of Dr.Nachtigal's map of his journeys in 1875, scale [1:3,000,000

ملحق رقم (٢)*

The National Archives

Letter 38M49/G4/11/22 ***1916***

These documents are held at Hampshire Record Office

Contents:

Khartoum, 24 and 26 May 1916

Describes a 'habub', a cloud of sand which moves like a wave. News that El Fasher has been occupied. This done to forestall an attack on Sudan by Ali Dinar. Describes the military expedition.

Enclosed supplement to Sudan Times of 25 May 1916 which gives notice of occupation of El Fasher. Also enclosed telegram dated 10 Jun 1916

* برقية مؤرخة في ١٠ يونيو ١٩١٦م، وصف سحابة من الرمال تتحرك مثل الموجة. أنباء احتلال الفاشر والتحرك لإحباط هجوم على السودان من قبل علي دينار. ويصف الحملة العسكرية المتجهة لاحتلال الفاشر. وبرفقة البرقية المؤرخة في٢٥ مايو ١٩١٦م والتي تبين ذلك.

ملحق رقم (٣)*

The National Archives

Letter 38M49/G4/11/23 ***1916***

These documents are held at Hampshire Record Office

Contents:

Khartoum, 2 Jun 1916

Receiving good news from Darfur - describes military situation. Believes it was a very well executed expedition - praises both army and Governor General. About to go to Egypt for a month instead of taking leave to England

* الخرطوم في ٢ يونيو ١٩١٦ وصول أخبار جيدة من دارفور تصف الوضع العسكري هناك وأنه يتم بشكل جيد للغاية من الجيش والحاكم العام، كما يشير إلى قضاء إجازة في مصر لمدة شهر واحد بدلا انجلترا.

ملحق رقم(٤)*

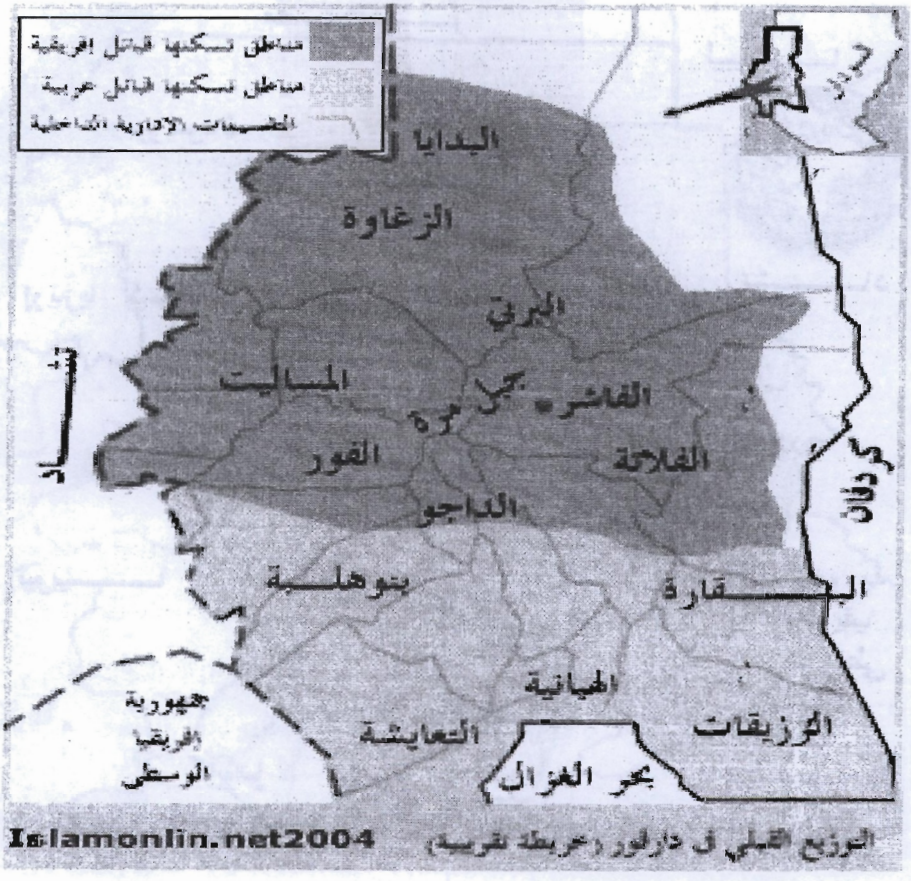

التوزيع القبلي في دارفور (خريطة تقريبية)

* التوزيع القبلي في دارفور

ملحق رقم (٥)*

* خريطة تبين موقع دارفور وأقسامها

ملحق رقم (٦)*

ختم السلطان حسين

ختم السلطان يوسف سلطان ودّاي

* نماذج من اختام سلاطين دار فور

ملحق رقم (٧)*

* صورة للزبير رحمت باشا